السنة الحادية بعد المئة

فيها هربَ يزيد بنُ المهلَّب من حَبْسِ عمرَ بنِ عبد العزيز رضي الله عنه.

قال هشام: لم يزل محبوساً في حبس عمر حتى بلغه مرضُه، فأخذ يعملُ في الهرب مخافةَ أن يموت، فيتمكَّنَ منه يزيد بنُ عبد الملك؛ لأنه عذَّب أصهارَه آلَ بني[1] عَقِيل. فأعدَّ يزيد بنُ المهلَّب الركائب مع مواليه، وكان عمر مريضاً في دَيْر سَمْعان، فواعد يزيدُ مواليَه مكاناً بعينه، فلما ثَقُل عمر؛ خرج يزيد ومعه امرأتُه عاتكة بنت الفرات بن معاوية العامريَّة، وسار ليلاً، فنَجَوْا.

وكتب يزيد إلى عمر: واللهِ لو علمتُ أنك تبقى ما خرجتُ من محبسي، ولكنني لم آمن يزيدَ بنَ عبد الملك.

فقال عمر: اللهمَّ إنْ كان يزيدُ يريدُ بهذه الأمَّةِ شرّاً؛ فاكْفِهم شَرَّه، وارْدُدْ كيده في نحره[2].

وقال الهيثم[3]: كان يزيد محبوساً في حصن حلب، وكان عمر بخُناصرة، وقيل: بدَيْر سَمْعان، فلما تيقَّن يزيد موتَ عمر دسَّ إلى عامل حصن حلب مالاً، وإلى الحرس، وقال: إن عمر قد ثَقُل، فلا تشتطُّوا بدمي، فإنْ وليَ يزيدُ بن عبد الملك لم يُنْظِرني فُواقاً[4].

فوافقوه، فخرج من حصن حلب متنكّراً، فلما وصل إلى الفرات؛ كتب إلى عمر بمعنى ما ذكرنا.

---

(١) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٦٤ : أبي.

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٥٦٤ .

(٣) أنساب الأشراف ٧/ ٢٣٩ .

(٤) بضم الفاء ـ أو فتحها ـ هو ما بين الحَلْبَتَيْن من الوقت، أو: ما بين فتح يدك وقبضها على الضَّرْع. القاموس (فوق).

وجاء كتابُه إلى عُمر وهو في آخِر رَمَق، فقال: اللهمَّ إن كان يزيدُ يريدُ بهذه الأمَّة شرّاً فأَحِنْه وهِضْه[1]، فقد هاضني.

وسار يزيد حتى مرَّ بحَدَث الرِّقاق[2] وبه الهُذَيْل بن زُفَر، ومعه قيس، فلم يُهجه الهُذيل، وسار، فاتَّبعه جماعةٌ من قيس، فأصابوا بعضَ ثَقَلِه، فأرسلَ إليهم الهُذيل، فردَّهم وقال: ما بينكم وبينه ثأر، وإنَّما هو رجلٌ خائف، كان في إسار خاف على نفسه، فهرب.

(١) أَحِنْه: أهْلِكْه. وهِضْه: أي: اكْسِرْه وأَضْعِفْه.

(٢) حَدَث الرِّقَاق: موضع بالشام، كما في «القاموس» (رقق). وجاء في «أنساب الأشراف» ٦/ ١٧٨ أنها بناحية قيس، تجمَّعت فيها لما قُتل عُمير بن الحُباب، فقال الأخطل:

ضَرَبْناهُمْ على المكروه حتى حَدَرْناهم إلى حَدَثِ الرِّقاقِ

وتحرفت اللفظة في «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٦٤ إلى: الزقاق.

obeikandl.com

الباب التاسع

في ولاية يزيد بن عبد الملك بن مروان

وكنيتُه أبو خالد، وأمُّه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

بُويع في اليوم الذي مات فيه عمر بن عبد العزيز ﷺ يوم الخميس[1] لخمس ليال بقين من رجب، بعهدٍ من أخيه سليمان، وكان يومَ وليَ ابنَ تسع وعشرين سنة، وقيل: سبع وعشرين، وكان أبيضَ جسيماً متكبِّراً عاجزاً، صاحب لهو وشراب ولذَّات، وهو صاحب حَبَابة، بالتخفيف، وسَلَّامة، بالتشديد، وهما قَينتان غَلَبَتا عليه، فاشتغلَ بهما عن النَّظَر في أمور الرعيَّة.

ذكر ما بدأ به:

نقض جميع ما بناه عُمر بن عبد العزيز ﷺ، وأعاد سبَّ أمير المؤمنين عليه السلام، وأعاد الغُصوب التي انتزعَها عمر ﷺ، وأماتَ المعروف، وأحيا المنكر.

وكان سليمان بن عبد الملك يقول: لولا أخافُ اختلاف الأمر على بني أمية لاقتصرتُ على عُمر، ولم أولِّ يزيد، ولفوَّضت الأمرَ إلى عُمر يولِّي من شاء.

وكان عمر بن عبد العزيز ﷺ يقول: لولا خوفُ الفتنة لعزلتُ يزيد، ولكني أُولّي سليمان ما تولَّى، والمسلمون أولى بالنظر لأنفسهم.

وقال الهيثم: لما توفي عمر بن عبد العزيز ﷺ قال يزيد بن عبد الملك في نفسه: ما سكتَ عُمر عن تولية العهد لغيري إلا لحسن ظنِّه بي، وأنه رآني أهلاً لها بعده، وإلا فقد كان قادراً على صرفها عني وعن بني مروان كلِّهم؛ لأنَّ الناس لا يخالفونه.

فلزم يزيد التنسُّك والعبادة، وجرى على أسلوب عُمر في الصلاة بالناس، وردِّ المظالم، فأقام على ذلك أربعين يوماً لا تفوتُه صلاة في جماعة، وهجر حَبَابة وسَلَّامة وغيرَهما من القينات.

---

(١) في «مروج الذهب» ٥/ ٤٤٦، و«تاريخ دمشق» ١٨/ ٣٣٨ (مصورة دار البشير): يوم الجمعة.

فقدم الأحوص الشاعر دمشق، فبعثت إليه حَبَابة تقول: ليس في يزيد أمل لأحد، ولا لي، ولا لك؛ ما دام على هذه الحالة، فانظم شيئاً لعله إذا سمعه يعود إلى ما كان عليه، فعمل الأحوص وقال:

إذا كنت عِزِّيفاً[1] عن اللهو والصِّبا فكُنْ حَجَراً من يابسِ الصَّخْرِ جَلْمَدَا
فما العيشُ إلا أن تلذَّ وتشتهي وإنْ لامَ فيه ذو الشَّنانِ[2] وفنَّدا

وبعث بهما إلى حَبَابة، فحفظتهما. وخرج يزيد يُريد صلاة الجُمعة، فمرَّ بحجرة حَبَابة، فسمعها تغنِّي بهما، فوقف، وقال: سبحان الله. فغنَّتْ ثانياً، فقال: مه، لا تفعل، فلما غنَّت الثالثة نقضَ عِمامتَه وقال: مُرُوا صاحبَ الشرطة أن يصليَ بالناس الجمعة. ثم جلس عندها وقال: هذا الشعر؛ لمن؟ قالت: للأحوص. فاستدعاه، ونادمَه ووصلَه، وانهمك على لهوه، وأشاع الفساد، وأظهر القبائح، وأعلن بشرب الخمر والمعازف، فدخل عليه مسلمة بن عبد الملك، فلامه وقال: أنت قريبُ العهد من عمر، وببابك الوفود والأشراف، وقد انهمكتَ على هذه الإماء. فقال له يزيد: إني لأرجو أن لا تعاتبني بعد اليوم. وهجرَ القِيان إلى أن توجَّه مسلمةُ إلى العراق لقتال آل المهلَّب، ثم عاد إلى ما كان عليه، وكان يلعن مسلمةَ ويقول: حرمَني لذَّاتي، وكان يقول ويكرّر قول الأحوص:

وإنْ لامَ فيه ذو الشَّنانِ وفنَّدا

ويقول: واللهِ لا أُطيعُهم أبداً[3].

وفيها ولَّى يزيدُ بنُ عبد الملك عبدَ الرحمن بنَ الضحَّاك بن قيس الفِهْريّ المدينةَ، وعزلَ عنها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، فقدمَ المدينةَ يومَ الأربعاء لليالٍ بقين من شهر رمضان، فدخلَ عليه أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم، فسلَّم عليه، فلم يَرَ منه إقبالاً.

---

(١) كذا روايته في «المنتظم» ٧/ ٦٥ . وروايته في «الأغاني» ١٥/ ١٣٢، و«مروج الذهب»٥/ ٤٤٨، و«مختصر تاريخ دمشق»٧/ ٢٢٩ (ترجمة حبابة): عِزْهَاةً، وهما بمعنى. وفي «أنساب الأشراف»٧/ ٢٠٥: مِعْزافاً.

(٢) الشَّنان، كسحاب، لغة في الشَّنآن، وهو البُغض. ينظر «القاموس».

(٣) إضافة إلى المصادر المذكورة آنفاً، ينظر «تاريخ دمشق» ١٨/ ٣٣٧ـ٣٤٣ (مصورة دار البشير).

قال أبو بكر: فرجعتُ إلى منزلي خائفاً منه، وكان شابّاً مقداماً، فكتبتُ إليه: أمَّا بعد، فإن كنتَ تحدِّثُ نفسَك بالخلود؛ فكم نزلَ هذه الدارَ مثلُك، ثم خرجوا منها، وبقيَتْ آثارُهم، إن خيراً فخيراً، وإن شرّاً فشرّاً، فاتَّقِ اللهَ ولا تسمع قولَ واشٍ وحاسدٍ على نعمة.

وأقام أبو بكر على الخوف منه، فاختصمَ رجلان؛ أحدُهما من بني فِهْر، والآخر من الأنصار، وكان أبو بكر قد قضى للأنصاريّ على الفِهْريّ في أرضٍ كانَتْ بينَهما، فأحضر أبا بكر وقال له: كيف قضيتَ على الفِهْريّ، ودفعتَ أرضَه إلى الأنصاري؟ فقال: أفتاني بذلك سعيد بنُ المسيِّب، وأبو بكر بنُ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. فقال عبد الرحمن للفهريّ: ما تقول؟ قال: كذا كان، ولكن لا يلزمُني قولُهما. فقال له: قم، تُقرُّ أنَّ سعيداً وأبا بكر أفتياك، ثم تقول: ما يلزمني قولُهما! اذهبْ فأنت أحمق.

وأقام أبو بكر على الخوف من ابنِ الضَّحَّاك، وكان أبو بكر بنُ محمد قد ضربَ أبا المَغْراء عثمانَ بنَ حَيَّان حَدَّيْنِ في ولايته على حقٍّ، فلما ولَّى يزيدُ عبدَ الرحمن الفِهْريَّ كان ابنُ حَيّان عند يزيد، فقال له: يا أمير المؤمنين، أَقِدْني من أبي بكر بن محمد. فقال يزيد: لا أفعل ذلك برجل اصطنعه أهلُ بيتي، ولكن أولِّيك المدينة، فاقتصَّ منه. فقال: لا أفعل ذلك؛ لأني لو فعلتُه قال الناس: ضربه في سلطانه، فلا يكون قَوَداً، ولكن اكتبْ إلى عبد الرحمن الفِهْريّ.

فكتب يزيد إليه يقول: إن كان ابنُ حزم ضربه في أمر بَيِّن؛ فلا تعرضْ له، وكذا إن كان ضربَه في أمر يُختلف فيه[1]، وإن كان ضربه في غير ذلك فأَقِدْه منه.

فلما قدم بالكتاب قال له عبد الرحمن: ما جئتَ بشيء، أترى ابنَ حَزْم ضربَك في أمر لا يُختلفُ فيه؟ فقال ابن حيَّان: إذا أردتَ أن تُحسنَ أحسنتَ. فقال الفِهْريّ: أمَّا الآن فنعم. وكان في قلبه على ابن حزم، كان يقول: هو خائن، ويتكبّر عليَّ.

(١) في (ب) و(خ): لا يختلف فيه. والتصويب من «أنساب الأشراف» ٧/ ١٩٤ ، و«تاريخ» الطبري ٦/ ٥٧٥ .

فاستدعى ابنَ حَزْم، فضربه حدَّيْن في مقام واحد ولم يسأله عن شيء، فرجع ابن حيَّان وهو يقول: أنا أبو المَغْراء، واللهِ ما قربتُ النساء منذ صَنعَ بي ابنُ حَزْم ما صنع، واليوم أقربُهنَّ[١].

قال الواقدي: ضرب الفِهْريُّ أبا بكر بن حزم ظلماً وعدواناً.

وفيها قُتل شَوْذب الخارجي، واسمه بِسْطَام.

وفيها لحقَ يزيد بنُ المهلب بالبصرة، فغلب عليها، وحبس عاملَها عديَّ بنَ أرطاة الفَزاري، وخلع يزيدَ بنَ عبد الملك[٢].

قال علماء السِّيَر: لما وليَ يزيد بن عبد الملك الخلافة بعد ما هرب يزيد بن المهلّب كتب إلى عديِّ بن أرطاة يأمره بحبس آل المهلّب، وأن يُوثق يزيد، ويبعث به إليه، وكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن والي الكوفة أن يطلبه ويجتهد في أخذه[٣].

فلما وصل كتابُه إلى عديّ بن أرطاة؛ قبضَ على بني المهلَّب وأهلهم، وكان فيهم المفضَّل وحبيب ومروان بنو المهلب وغيرهم، و حبسهم[٤].

وبعث عبدُ الحميد عاملُ الكوفة جيشاً مع هشام بن مُساحق بن عبد الله بن مخرمة من بني عامر بن لؤي وقال له: اذهب إلى العُذَيْب[٥]، فإنه يمرُّ به الآن. فخرج هشام ثم رجع وقال: آتيك به أسيراً، أم آتيك برأسه؟ فقال: أيَّ ذلك شئت. فتعجَّب مَنْ سمعَه يقولُ ذلك.

وسار هشام فنزلَ العُذيب، وأقبل يزيد وهو عن العُذَيْب غير بعيد، وهابَ هشام الإقدام عليه، وسار يزيد إلى البصرة[٦].

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٥٧٤ـ٥٧٥ . وينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ١٩٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٦/ ٥٧٥ .

(٣) المصدر السابق ٦/ ٥٧٨ .

(٤) تاريخ الطبري ٦/ ٥٧٨ ، وينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٤٠ .

(٥) هو ماء بين القادسية والمُغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال. «معجم البلدان» ٤/ ٩٢ .

(٦) تاريخ الطبري ٦/ ٥٧٨ـ٥٧٩ ، وأنساب الأشراف ٧/ ٢٤١ .

وأرسل عبدُ الملك بنُ المهلَّب يقول لعدي: خُذ ابني حُميداً، فاحبسه عِوَضي ودَعْني أخرجْ فأرُدَّ يزيدَ عن البصرة حتى يأتيَ فارس، ويطلبَ له أماناً، ولا أدعُه يقربُك. فلم يُجبه عديّ.

وكان محمد بنُ المهلَّب بالبصرة لم يُحبس، فجمع مواليَه وفتيةً من أهل بيته وأناساً، وخرج حتى استقبل أخاه يزيد في كتيبة، وبعث إليه عديّ القبائلَ وقد رتَّبهم على كلِّ قبيلة رجلاً، فعلى الأزد المغيرة بن زياد العَتَكيّ، وعلى بني تميم مُحرز بن حُمْران السَّعديّ، وعلى بَكْر بنِ وائل عمران بن عامر بن مسمع، ومالكُ بنُ المنذر بن الجارود على عبدِ القيس، وعبدُ الأعلى [بن عبد الله] بن عامر القرشيّ على أهل العالية، وهم من أهل البصرة قريشٌ، وكِنانة، والأزد، وبجيلة، وخثعم، وقيس عَيْلان كلُّها[1].

وكان عديّ قد قدَّم أوَّلاً على الخيل المغيرةَ بن عبد الله الثقفيّ، وأقبلَ يزيدُ بن المهلَّب لا يمرُّ بخيلٍ ولا قبيلةٍ إلا تَنَحَّوْا له عن الطريق حتى يمضي، وجاء فنزل دارَه، وبعث إلى عديّ: ادْفعْ إليَّ إخوتي وأنا أخرجُ عن البصرة، وأقيمُ بمكان، وأبعث إلى يزيد بن عبد الملك، فآخُذُ منه أماناً. فلم يُجبه عديّ. فبعث يزيد بن المهلَّب إلى يزيد بن عبد الملك مع حُميد بن عبد الملك بن المهلَّب يطلبُ الأمان فأمَّنَهُ، وبعث معه خالدَ ابنَ عبد الله القسريّ، وعُمر بن يزيد الحَكَميّ.

وأقام يزيد بنُ المهلب يُعطي الناس الذهبَ والفضَّة، فمالَ الناسُ إليه، وكان عديّ لا يعطي إلا الدرهم والدرهمين، ويقول: لا يحلُّ لي أن أُعطيَكم من بيت المال درهماً إلا بأمر أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك، ولكن تبلَّغوا بهذا حتى يأتيَ أمرُه. فقال الفرزدق:

أظنُّ رجالَ الدِّرهمَيْنِ يسوقُهُمْ ... إلى الموت آجالٌ لهم ومضاجعُ[2]

فأحزَمُهم مَنْ كانَ في قعر بيتِه ... وأيقنَ أنَّ الأمرَ لابدَّ واقعُ[3]

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٥٧٩ـ٥٨٠ ، وأنساب الأشراف ٧/ ٢٤٧ . وما سلف بين حاصرتين منهما.

(٢) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٨١ ، و«ديوان» الفرزدق ١/ ٤٢١ : ومَصَارعُ. وهما بمعنى.

(٣) في (ب) و(د): لابد صائر إليه بدل: لابدَّ واقع. وفي (خ): لا شك صائر إليه! والمثبت من المصدرين المذكورين.

واجتمعَ الناس إلى يزيد، وقصدُوا القصر، وكان في طريقه جماعةٌ، فهزمَهم، ووصلَ إلى باب القصر، فخرج إليه عديّ، واقتتلُوا، فقُتل من أهل الشام من أصحاب عديّ جماعةٌ، ومن فرسان الحجَّاج بن يوسف، منهم الحارث بن مصرِّف الأودي من أشراف أهل الشام، وموسى بن الوجيه الحِميريّ، وراشد المؤذّن، وانهزمَ أصحابُ عديّ.

وسمع إخوة يزيد صوت الجلبة وهم محبوسون في القصر فقال لهم عبد الملك بن المهلَّب: ما أرى يزيد إلا قد ظهر، ولا نأمنُ مَنْ مع عديّ من مُضر ومن الشام أن يأتونا فيقتلونا. وجمعوا متاعاً، وجعلوه خلف باب الحبس، واتكؤوا عليه، فلم يلبثوا إلا ساعة حتى أقبلَ عبدُ الله بن دينار مولى بني عامر ـ وكان على شرطة عديّ وحرسِه ـ ومعه جماعة، فجاء يشتدُّ إلى باب الحبس ليقتلوا أولاد المهلَّب، وأخذوا يعالجون الباب، ولا يقدرون على فتحه، وأعجلَهم الناسُ، فانصرفوا.

وأُخِذَ عديّ بنُ أرطاة أسيراً، فجيء به إلى بزيد بن المهلَّب وهو يتبسَّم، فقال له يزيد: لم تضحك؟ فواللهِ إنه ليمنعك من الضحك خصلتان: إحداهما فرارُك من القِتْلة الكريمة حتى أَعطيتَ بيدك إعطاء الأَمَة بيدها. والثانية: أنني أتيتُ بك كما يُؤتى بالعبد الآبق إلى مواليه، وليس معك مني عَقْد ولا عهد، فما يؤمِّنك أن أضرب عنقك؟ فقال له عديّ: أمَّا أنتَ فقد قَدَرْتَ عليّ، ولكنِ اعلمْ أنَّ بقائي بقاؤك، وهلاكي هلاكُك[1]، وقد رأيتُ جنودَ الله بالشام[2]، وعلمتُ بلاءهم في كلِّ موطن من مواطن الغَدْر، فتدارَكْ زَلَّتك باستقالة العَثْرة؛ قبل أن يرميَ إليك البحرُ بأمواجه، فإن طلبتَ الإقالة لم تُقَلْ، فاطلب الأمان على نفسك وأهلك.

فقال له يزيد: أما قولك: إن بقائي بقاؤُك؛ فلا أبقاني الله حسوة طائر مذعور إن كان لا يبقيني إلا بقاؤك. وأما قولك: تَدارَكْ أمْرَك؛ فوالله ما استشرتُك، ولا أنتَ عندي بأمين ولا نصيح. وأما تهدادك لي بالبحر وأمواجه؛ فواللهِ إنه عندي أصغر من

(١) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٨٢ : وأن هلاكي مطلوبٌ به من جرَّته يده.

(٢) في «تاريخ الطبري»: بالمغرب.

خليج. ثم أمر به فحُبس، وقال: إنما أحبسُك لما فعلت بآل المهلب من الحبس والتضييق[١].

ولمَّا ظهر يزيد على البصرة هربَ رؤساؤها من قيس وتميم ومالك بن المنذر، فلحقوا بالكوفة بعبد الحميد بن عبد الرحمن.

وهرب الحواريُّ بنُ زياد العَتَكي إلى الشام يريدُ يزيدَ بن عبد الملك، فلقيَ في طريقه خالدَ بنَ عبد الله القسري وعمر بن يزيد الحَكَميّ ومعهما حُميد بن عبد الملك بن المهلّب قد أقبلوا من عند يزيد بأمان بني المهلَّب وبكلِّ ما يريد يزيدُ بنُ المهلَّب. فقال: ارجعا أيُّها الرجلان، فقد غلبَ يزيدُ على البصرة، وقتل فلاناً وفلاناً، وحبس عديّاً. فرجَعا بحُميد إلى الشام، فقال لهما حميد: أنشُدُكما اللهَ فينا، وإن هذا عدوُّنا هو وقومُه، قيما على ما أنتما عليه، فإنَّ يزيد لا يخالفُكُما. فلم يلتفتا إليه.

وكان بالكوفة خالد بن يزيد بن المهلب، فوثب عليه عبد الحميد فأوثقه، وأوثقا حُميداً، وبعثوا بهما إلى الشام، فحبسهما يزيد بن عبد الملك، فهلكا في الحبس بالطاعون. وقيل: إنهما قُتلا[٢].

وكان القُطاميّ الشاعر؛ واسمه الحُصين، وهو أبو الشَّرْقيّ بن قُطَاميّ، وليس هذا بالقُطامي المشهور؛ ذاك اسمُه عُمير بن شُيَيْم[٣]، واسم الشَّرْقيّ هذا الوليد[٤] =كان مُقيماً بالكوفة، فلما غلبَ يزيد على البصرة قال القُطاميّ:

لعلَّ عيني أنْ تَرَى يزيدا ... يقودُ جيشاً جَحْفلاً رَشِيدَا[٥]
تَسمعُ للأرضِ به وَئيدا ... لا بَرَماً هِدّاً ولا حَسُودَا
ولا جَبَاناً في الوَغَى رِعْدِيدا ... ترى ذَوي التاجِ له سُجودَا

(١) ينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٨٢-٥٨٣ .
(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٥٩-٢٦٠ ، و«تاريخ الطبري» ٦/ ٥٨٣-٥٨٤ .
(٣) ينظر «الشعر والشعراء» ٢/ ٧٢٣ ، و«معجم الشعراء» ص ٤٧ .
(٤) هو عالم بالأدب والنسب، ينظر «تاريخ بغداد» ١٠/ ٣٨٢ ، و«ميزان الاعتدال» ٢/ ٢٤٨-٢٤٩ (شرقي)، و«الوافي بالوفيات» ١٦/ ١٣٢ .
(٥) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٨٥: شديداً.

لا ينقضُ العهدَ ولا العُهودا من نَفَرٍ كانوا ملوكاً[١] صِيدَا
تَرَى لهم في كلِّ يومٍ عِيدَا [من الأعادي جَزَراً مقصودا][٢]

فكتب يزيد بن عبد الملك إلى أهل الكوفة يمنِّيهم الزيادات في الإقطاعات والعطاء، فأوَّلُ مَنْ سارَ إلى قتال يزيد بن المهلب القُطاميُّ، فقال يزيد بن المهلَّب: ما أبعدَ قولَ القُطاميّ من فعله[٣]!

وقال المدائني: لمَّا هرب يزيد بن المهلَّب من الشام مرَّ بحَدَث الرِّقاق[٤] وهناك منزلُ الهُذَيْل بنِ زفر، وكان يزيدُ خائفاً منه، فلم يُحِسَّ به الهُذيل إلا وقد هجمَ عليه فسطاطَه، ودعا بلبنٍ فشربَه، فاستحيى الهُذيل منه، وعرضَ عليه خيلَه، فلم يأخذ منها شيئاً. ثم سلك البَرِّيَّة، وأتى القادسية، وبعثَ عبد الحميد خلفَه، وسار إلى البصرة.

وكان يزيد بنُ عبد الملك قد بثَّ في طلبه الرجال، منهم الهُذيل، وكوثر، والوثيق بنو زُفر بن الحارث الكلابي، فمرَّ بالهُذيل، وفاتَ الكوثر والوثيق.

وجاء كتاب يزيد بن عبد الملك إلى عديّ بأن يبعثَ آل المهلب إليه، فحبسهم، فقال له وكيع بن حسان بن أبي سُود؛ والي خُراسان كان: اقْتُلْ آلَ المهلَّب. وكان عدوَّهم، فقال عديّ: لا أفعل. قال: فاهدمْ عليهم دُورهم. قال: لا أفعل. قال: فافتَحْ بيت المال، وأنفقْ على الناس. قال: لا أفعل، لم يُؤذن لي في ذلك. فقال له وكيع: كأنِّي واللهِ بك وقد أُخِذتَ برقبتك. ومات وكيع في تلك الأيام[٥].

وأمَّا يزيد بن المهلَّب؛ فقدم البصرة ليلة البدر من رمضان، فنزلَ دار أبيه المهلَّب، وكتبَ من ليلته إلى يزيد بن عبد الملك يطلب منه أماناً، وبعث يزيدُ بابنه خالد بنِ يزيد وابنِ أخيه حُميد بن عبد الملك بن المهلَّب، فسارا بكتابه إلى الشام، وبعثَ إلى عديِّ ابنِ أرطاة القاسمَ بنَ عبد الرحمن الهلاليّ ـ وأمُّه فاطمةُ بنتُ أبي صُفْرة ـ وقال له: أقْرِهِ

(١) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٨٥ : هجاناً.
(٢) ما بين حاصرتين من «تاريخ» الطبري، وينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٦١ .
(٣) ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٦١ ، و«تاريخ الطبري» ٦/ ٥٨٥ .
(٤) حَدَث الرِّقاق: موضع بالشام، وسلف ذكره أوّل أحداث هذه السنة، وتحرف اللفظ في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٤٢ (والخبر فيه) إلى: يحدّث الرفاق.
(٥) المصدر السابق ٧/ ٢٤٠ .

منِّي السلام، وقل له: لا رأي لي في الشقاق، ولا في تفريق الكلمة، وقد كتبتُ إلى أمير المؤمنين أسألُه الأمان، فخلِّ سبيلَ إخوتي من المصر، فإنْ جاءني كتابُ أمان فذاك، وإن كان غير ذلك؛ فتكون قد سلمتَ منَّا وسلمنا منك. فلم يفعل[١].

فجمع يزيد ربيعة والأزد، وفرَّق فيهم الأموال والسلاح، وخرج فنزلَ جبَّانةَ بني يشكر، وهي نصف بين القصر والبلد.

وقال المدائني: إنَّ يزيد بن المهلَّب بعث إلى عديّ بالحسن البصريّ وأشرافِ أهل المصر يُناشدونه اللهَ في شقِّ عصا المسلمين وسفك دمائهم، فمضَوْا إليه، فلم يقبل وقال: أميرُ المؤمنين أمرَني بحبسهم، فلا أُخرجُهم إلا بأمره. فعادوا إلى يزيد، فأخبروه أنَّ عَدِيّاً أمَّن من بقي من ولدِ المهلَّب[٢]، وكان بعضُ إخوة يزيد حاضراً ويقال: هو عبد الملك، فقال للحسن: إنكم قد واطأتُم عدوَّنا على هلاكنا، وليست طاعتُه عليكم بواجبة. فقال له الحسن: كذبتَ، ما واطأناه. فغضب عبد الملك وقال للحسن: يا ابن اللَّخناء، أتكذِّبُني، وإنَّما أنت عبدٌ تريد استذلالَ أهلِ المِصْر بتخشُّعِك، وقد حمَّقْتَ نفسك، وتعدَّيْتَ طَوْرَك وقدرَك. ثم قام إليه ليقتله، فمنعه يزيد.

وقيل: إنَّما منعه المفضَّل، وقيل: حبيب.

ثم قال المفضَّل للحسن: هلاَّ أمَّنْتَ الحجَّاجَ على دمك؟! فقال: إنَّ الحجاج لم يُعطني أماناً، وإنَّ عديّاً قد أمَّنَكم من كلِّ ما تكرهون، وأمرني أن أضمنَ لكم الوفاء عنه، فثِقُوا بقولي وأمانِهِ.

فركنا إلى قول الحسن وأقاما معه ـ وهما عبد الملك والمفضَّل ـ وتخلَّف آخرون منهم، فلما دخلوا على عديّ أخفر ذِمام الحسن، وحبَسَهما مع حبيب ومروان ومُدْرك وأبي عُيَيْنة، فصاروا ستة من بني المهلَّب، وقيَّدهم[٣].

---

(١) «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٤٢ـ٢٤٣.

(٢) لم أقف على هذه الرواية، ورواية «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٤٤-٢٤٥ عن علي بن نصر الجهضمي عن مشايخهم، أن عدياً بعث بالحسن البصري إلى ولد المهلّب في عدة ... فناشدوهم...إلخ. ثم الكلام الآتي بعده فيه بنحوه.

(٣) أنساب الأشراف ٧/ ٢٤٥.

ثم إنَّ عديّاً بخلَ على الناس، وختمَ بيتَ المال، واستقرضَ أموال الناس، وفرضَ لكلِّ مقاتل في كل يوم درهمين[١].

قال: وطُعن رجل من آل عديّ فخرج ثَرْبُه[٢]، فقيل له: قل: لا إله إلا الله، فقال: هاتوا الدرهمين. وخرجت نَفْسُه[٣]!

وجلس يزيد للناس، فبايعوه على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ووجد في بيت المال بالبصرة عشرة آلاف ألف درهم، فلما كان يوم الفطر خطب يزيد بن المهلَّب، وخلع يزيدَ بنَ عبد الملك، ولعن بني مروان، ودعا إلى الرضى من بني هاشم، ولعنَ مسلمةَ بنَ عبد الملك وقال: قد أقبلَتْ إليكم هذه الجرادةُ الصفراء[٤]، ولعن عبدَ الحميد بنَ عبد الرحمن وقال: لعن الله الضَّبُعةَ العرجاء. يعني عبد الحميد[٥].

وكان الحسن البصريّ يذمُّ يزيدَ وبني المهلب ويقول: فاسقٌ عقدَ خِرَقاً على قَصَب، ثم نعق بأعلاج وطَغَام، فأجابوه. وبلغ يزيد بن المهلب فلم يعرض له[٦]. وكان قتادة بالأهواز ينتقص آلَ المهلب بعدما كبر وعمي، فبعث إليه يزيد من وجأ عنقه[٧].

وفرَّق يزيد عمَّاله في البلاد، فاستعملَ أخاه محمداً على فارس، وزياداً على عُمان ومُدركاً على خُراسان، ووَدَاعَ بنَ حُميد اليحمدي على قَنْدَابِيل[٨]، فقال له أخوه حبيب: لا تولِّه، فإنَّ في عينيه غَدْرةً. فكان كما قال؛ أغلَقَها في وجوههم[٩].

ولما كتب يزيد بن المهلَّب إلى يزيد بن عبد الملك يطلب الأمان؛ استشار يزيدُ بنُ عبد الملك الناسَ، فقالت المُضَريَّة: لا تؤمِّنْه، فإنه أحمق غدَّار. وقالت النزارية: أمِّنْه،

---

(١) المصدر السابق ٧/ ٢٤٦ . وسلف نحوه قريباً قبل شعر الفرزدق.

(٢) الثَّرْب: شحم رقيق يُغَشِّي الكرش والإمعاء. ينظر «القاموس».

(٣) المصدر السابق.

(٤) هو لقب مسلمة بن عبد الملك، لصفرة كانت تعلوه. ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٣٠٢ .

(٥) ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٥٥ـ٢٥٦ .

(٦) أنساب الأشراف ٧/ ٢٥٤ و٢٥٥ . وبنحوه في «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٨٧ .

(٧) في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٥٧ أنه أمر به فوُجيء في عنقه، وبعث به إلى الأهواز.

(٨) مدينة بالسِّند، وهي قصبة (مدينة) لولاية يقال لها: النُّدْهة. «معجم البلدان» ٤/ ٤٠٢ .

(٩) أنساب الأشراف ٧/ ٢٥٦ .

وتحقن الدِّماء، وتُطفىء الفتنة. فأمَّنَه على أن يُقيم بالبصرة [وأنفذه] [١] مع خالد القسريّ، وعمر الحَكَمي، فقدما العراق وقد استولى يزيد على البصرة.

ذكر مسير الجيوش من الشام والكوفة لقتال يزيد بن المهلَّب:

قال هشام بن محمد: ثم إن يزيد بن عبد الملك بعث العبَّاس بنَ الوليد بن عبد الملك في أربعة آلاف فارس، ومسلمة بعده في أهل الشام، وبلغ يزيدَ بنَ المهلَّب، فقام خطيباً وقال: أيها الناس، إنما أدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وجهاد أهل الشام، فإنه أعظمُ من جهاد التُّرك والدَّيْلم.

وكان الحسن جالساً في المسجد، فقال: سبحان الله! أيزيد يدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله، ثم رفع الحسنُ صوتَه وقال: واللهِ لقد رأيناك والياً ومُوَلًّى [٢] عليك، فما ينبغي عليك ذلك. فقام أصحاب الحسن، فأخذوا بيده وأقاموه.

فلما خرج الحسن من المسجد رأى الناس صفَّين بالرِّماح والسلاح ينتظرون خروج يزيد، فقال الحسن: قد كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء، وأصبح اليوم يضرب بهم بني مروان ثم يقول: أدعوكم إلى سنَّة العُمَرَيْن! إنَّ من سنة العُمَرَيْن أن يُوضع في رجليه قيد، ثم يُردَّ إلى سجن عُمر بن عبد العزيز. فقيل للحسن: يا أبا سعيد، لكأنك راضٍ عن أهل الشام! فقال: قبَّحهم الله، أليس هم الذين هدموا الكعبة وأحرقوها، وأباحوا المدينة ثلاثاً، وهتكوا حَرَمَ رسولِ الله ﷺ، وحملُوا أهلَه سبايا إلى الشام، وفعلوا وفعلوا؟! ثم قرأ الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [٣] [الرعد: ٢٥].

واستخلف يزيد على البصرة أخاه مروان بن المهلَّب، وقدَّم بين يديه أخاه عبد الملك، وخرج ببيوت الأموال وخزائن السلاح، فنزل واسطاً، وكان قد استشار أصحابَه قبل خروجه من البصرة، فقالوا: نرى أن تخرجَ فتنزل أرض فارس، فتأخذَ

---

(١) مابين حاصرتين من المصدر السابق ٧/ ٢٥٩.

(٢) في (ب) و(خ) و(د): ومولياً. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٧/ ٥٨٧ ،والكلام فيه بنحوه.

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٥٨٧ـ٥٨٨.

بالشِّعاب والعِقاب، وتدنوَ من خُراسان وفي يدك الحصون والقلاع، وينزل إليك أهلُ الجبال، ولا نَرى أن تُعاجلَ القوم، فإنَّ مطاولتَهم أولى. فقال: تريدون أن تجعلوني طائراً على رأس جبل! فقال له حبيب أخوه: فسِرْ بأهلك إلى الجزيرة، فاغْلِبْ على بعض حصونها ودَعْ به أهلك ومالَك، فإنْ عطف عليك أهلُ الشام؛ كان أهلُ العراق وراءَك، ويأتيك مَنْ بالموصل من قومك، وأهلُ الجبال والثُّغور، وابذُلِ المال. فقال: قد نزلنا واسطاً[١] ويفعل الله ما يريد، وكلُّ كائن مقضيّ[٢].

وأقام بواسط، ومسلمةُ والعباسُ بن الوليد بأرض الحِيرة.

وحجَّ بالناس عبدُ الرحمن الفِهْريّ[٣]، وهو على المدينة، وكان على مكة عبد العزيز ابن خالد بن أسيد، وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن، وعلى قضائها الشعبيّ، وعلى البصرة يزيد بن المهلَّب قد غلب عليها، وعلى خُراسان عبد الرحمن بنُ نُعيم الأزدي[٤].

وكان يزيد بن المهلَّب قد ولَّى على خُراسان أخاه مُدرك بنَ المهلَّب، فلما وصل إلى رأس المفازة قال عبد الرحمن بن نُعيم لبني تميم ولمن بخُراسان: هذا مُدرك قد جاء ليُلقيَ بينكم الحرب وأنتم في عافية وعلى طاعة، فاخْرُجُوا فردُّوه. فخرجَ إليه منهم جماعة وقالوا: أنت أحبُّ الناس إلينا وقد خرج أخوك ونابذَ الخلفاء، فإنْ ظهرَ فإنما ذلك لنا، وإن تكن الأخرى فما لك أن تُوقعَنا في البلاء بلا فائدة، فارجعْ. فرجع[٥].

وفيها توفي

أبو أُمامة أسعد بن سَهْل

ابن حُنيف الأنصاري، وأمُّه حَبِيبة بنت أبي أمامة أسعد بن زُرارة أحدِ النُّقَباء.

---

(١) بعدها في (ب) و(خ) و(د) زيادة: وكان. وهو سبق قلم من ناسخ الأصل. فقد مرّ مثلها قبل أسطر.

(٢) «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٨٨ . وينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٦٣ .

(٣) في (ب) و(خ) و(د): المقبري، وهو خطأ. وهو عبد الرحمن بن الضحَّاك.

(٤) «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٨٩ .

(٥) المصدر السابق ٦/ ٥٨٥ـ٥٨٦ .

وأسعدُ بن سهل من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وكانت أمُّه من المبايعات[١].

وقال ابن عبد البَرّ: أبو أمامة مشهور بكنيته، وُلد قبل وفاة رسول الله ﷺ، فدعا له، وسمَّاه باسم جدِّه، وكنَّاه بكنيته[٢].

وهو أحد الجِلَّةِ من كبار التابعين بالمدينة، ولم يسمعْ من رسول الله ﷺ ولا صَحِبَهُ، وهو الذي صلَّى بالناس الجمعة لما حَصَبُوا عثمان رضوان الله عليه وهو على المنبر[٣].

وكان من فقهاء المدينة، ومات سنة إحدى ومئة، وكان ثقة كثير الحديث.

وكان له من الولد: محمد، وسهل، وعثمان، وإبراهيم، ويوسف، ويحيى، وأيوب، وداود، وحبيبة، وأُمامة، أُمُّهم أمُّ عبد الله بنت عتيك بن الحارث من بني هَيْشَة، أنصارية. وصالح لأمٍّ ولد[٤].

أسند أبو أُمامة عن عُمر، وعثمان، وأبيه سهل، وزيد بن ثابت، وأبي سعيد، وابن عبَّاس، ومعاوية، وسعيد بن سَعْد بن عُبادة.

وروى عنه ابناه محمد وسهل، ويحيى الأنصاري، والزُّهري، في آخرين[٥].

وقدم بكتاب عمر بن الخطاب رضوان الله عليه على أبي عبيدة رضي الله عنه بالشام، وغزا معه[٦].

بِسْطام بن مُرَيّ

اليشكري الخارجي، ويقال له: شَوْذب، لقب له.

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٨٥ .

(٢) بنحوه في «الاستيعاب» ص ٧٧٢ .

(٣) ينظر «تاريخ دمشق» ٢/ ٨٠٧ (مصورة دار البشير).

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٨٥ .

(٥) تاريخ دمشق ٢/ ٨٠٤ ، وتهذيب الكمال ٤/ ٥٢٥ .

(٦) تاريخ دمشق ٢/ ٨٠٤ (مصورة دار البشير).

وقد ذكرنا واقعته مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ومناظرته إياه، وأنه ارتفع إلى أرض أرمينية مدة حياة عمر رضي الله عنه، ولم يُقاتله، فلما مات عُمر رضي الله عنه أراد عبدُ الحميد بنُ عبد الرحمن العاملُ على الكوفة أن يحظى عند يزيد بن عبد الملك، فكتب إلى محمد بن جرير يأمرُه بمحاربته.

وعلم شَوْذَب، فأرسل إلى ابنِ جرير يقول له: ما الذي أعجلكم؟! أمات الرجلُ الصالحُ عُمر؟ ولم يعلم شَوْذَب بموته.

قالت الخوارج: ما فعل هذا إلا وقد مات عُمر.

وقال شَوْذَب: قد بَعَثْنا إلى عمر رسولين، فاصبروا حتى يرجعا. فلم يمهلهم[1] ابنُ جرير، وقاتلَهم في جيش من أهل الكوفة، فأكثرت الخوارجُ فيهم القتل، فولَّوْا منهزمين، وجُرح محمد بن جرير في عجزه، وهرب، فما ردَّه إلا أخصاص[2] الكوفة، وشَوْذَب في أثره.

ثم عاد شَوْذَب إلى مكانه، وعاد إليه رسولاه اللذان كانا عند عُمر بن عبد العزيز، فأخبراه بوفاته.

وجاءه رسولُ عبد الحميد بن عبد الرحمن[3] يقول: إن يزيد بن عبد الملك لا يقارُّكم على ما قارَّكم[4] عليه عمر بنُ عبد العزيز. ووجَّه إليهم تميم بنَ الحُباب في ألفين، فلما سمعوا رسالتَه لعنوا يزيد وبني أمية، فحاربهم تميم، فقتلوه، وهزموا أصحابَه.

فجهَّز إليهم عبدُ الحميد جيوشاً وهم يهزمونها، فجهَّز إليهم مسلمة بنُ عبد الملك سعيدَ بنَ عمرو الحَرَشيّ، ـ وكان شجاعاً ـ في عشرة آلاف، فأتاهم ما لا قِبَلَ لهم به،

---

(١) في (خ) و(د) (والكلام منهما): يمهل. وأثبتُّ اللفظة على الجادة. وينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٧٦ .

(٢) جمع خُصّ، وهو بيت من شجر أو قصب. وعبارة الطبري: والخوارج في أعقابهم تَقْتُلُ حتى بلغوا أخصاص الكوفة.

(٣) في (خ) و(د) (والكلام منهما): عبد الحميد بن عبد الجبار، وهو خطأ. وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب والي الكوفة. وسلف ذكره قريباً. ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٦٧ و١٥٧ .

(٤) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٧٦ : فراسلهم وأخبرهم أن يزيد لا يفارقهم على ما فارقهم...

وكان شَوْذَب في نفر يسير لم يبلغوا المئة، فلما جاءهم سعيد قال شَوْذَب لأصحابه: مَنْ كان يريد اللهَ فقد جاءته الشهادة، ومن كان إنَّما خرج للدنيا فقد ذهبت الدنيا، وإنما البقاء في الدار الآخرة. وكسرَ جَفْنَ سيفِه، وكسروا أغماد سيوفهم، وحملوا على سعيد فكشفوه مراراً حتى خاف العار والفضيحة، فصاح بأصحابه: ويحكم، مِن هذه الشرذمة تفرُّون! لا أبا لكم، يا أهل الشام يوماً كأيَّامكم.

فحملوا عليهم بأسرهم، فطحنوهم، وقتلوا شَوْذباً وأصحابَه، ولم يُفلت منهم أحد[١].

وقال أبو اليقظان: لم يقاتل أحدٌ قتالَ بِسطام، فبينا أهلُ الشام قد انكشفوا؛ جاءه سهمُ غَرْبٍ[٢]، فذبحه، وتعلَّق أصحابُه برؤوس الجبال، ورجع سعيد وقد قتل معظم أصحابه، وقتل الرَّيَّان بن عبد الله اليشكري، وكان من فرسان شَوْذَب، فقال أخوه شمر[٣] بن عبد الله يرثيه:

ولقد فُجِعتُ بسادةٍ وفوارسٍ ... للحرب سُعْرٍ من بني شيبانِ
إغتالهم[٤] ريبُ الزمان فغالهم ... وتُركْتُ فرداً غيرَ ذي إخوانِ
كَمِداً تَجرجرُ[٥] في فؤادي حسرةٌ ... كالنارِ من وجدي على الرَّيَّانِ
وفوارسٍ باعوا الإله نُفوسَهم ... من يشكرٍ عند الوَغَى فرسانِ

وقال حسان بن جَعْدة يرثيهم:

يا عينُ أذْرِي دموعاً منكِ تَسْجَاما ... وابْكي صحابةَ بِسْطامٍ وبِسْطامَا
فلن تَرَيْ أبداً ما عشتِ بعدَهمُ ... أتقى وأكملَ عند اللهِ أحلاماً
أفديهمُ إذْ تأسَّوْا عند شدَّتهمْ ... ولم يريدوا عن الأعداء إحجاماً
حتى مضَوْا للذي كانوا له خرجُوا ... وأورثونا حَزَازاتٍ وآلاما

---

(١) «تاريخ الطبري» ٦/ ٥٧٥ـ٥٧٧ . وينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ١٥٨ـ١٥٩ .

(٢) سهمُ غربٍ، وسهمٌ غَرْبٌ: لا يُدرى راميه. وتحرفت كلمة «غرب» في النسختين (خ) و(د) (والكلام منهما) إلى: غابر.

(٣) في (خ) و(د): سمرة. وهو خطأ.

(٤) في «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٧٧ : اغْتَاقَهم (يعني عاقَهم).

(٥) في المصدر السابق: تَجْلَجَلُ.

إني لأعلمُ أنْ قد أُنزلُوا غُرفاً من الجنان ونالوا ثَمَّ خُدَّاما[١]

تُبيع ابنُ امرأة كَعْب الأحبار

من الطبقة الثانية ـ وقيل: من الأولى ـ من التابعين، من أهل الشام، كان عالماً قد قرأ الكتب، وسمع من كعب علماً كثيراً[٢].

عرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، فلم يسلم حتى توفي رسول الله ﷺ، فأسلمَ على يد أبي بكر الصديق رضوان الله عليه، وكان دليلاً لرسول الله ﷺ.

وقرأ القرآن على مجاهد بجزيرة قريبة من القسطنطينية يقال لها: أرواد، كانا غازيين بها[٣].

وهو الذي نهى عمرو بنَ سعد الأشدق عن العصيان بدمشق وقال له: إني وجدتُ في الكتب أن رجلاً من قريش يسافر مع ملك، ثم يغدر به، ويدخل مدينة من مدائن الشام يتحرَّزُ بها ويُقتل، وأنا خائف عليك، فاتق الله[٤].

وسأله ابن عباس: ما كان يقولُ كعبٌ في السحاب؟ فقال: إنه كان يقول: إنه غربال المطر، ولولا السحاب لأفسدَ المطر ما على وجه الأرض وما يقع عليه، فقال له ابن عباس: صدقتَ، وأنا سمعتُه يقول ذلك[٥].

مات تُبيع بالإسكندرية سنة إحدى ومئة[٦].

وقد روى عن جماعة من الصحابة، منهم أبو الدرداء، وجماعة من التابعين منهم عطاء بن أبي رباح، وكعب الأحبار[٧]، وغيرهم.

---

(١) الأبيات بنحوها في «تاريخ» الطبري ٦/ ٥٧٧ـ٥٧٨ .

(٢) طبقات ابن سعد ٩/ ٤٥٥ .

(٣) تاريخ دمشق ٣/ ٥١٣ (مصورة دار البشير).

(٤) المصدر السابق ٣/ ٥١٤ . وفيه: فاتق الله لا تكونه.

(٥) المصدر السابق ٣/ ٥١٦ .

(٦) تاريخ دمشق ٣/ ٥١٨ .

(٧) كذا في (ب) و(خ) و(د). والذي في المصدر السابق ٣/ ٥١٣ . أنه روى عن كعب الأحبار، وروى عنه عطاء ابن أبي رباح. وسلف أول الترجمة أنه سمع من كعب علماً كثيراً. وينظر أيضاً «تهذيب الكمال» ٤/ ٣١٣ .

أبو الزَّاهريَّة

واسمُه حُدَيْر بن كُرَيْب الحميريّ، وكان صالحاً، من الطبقة الأولى من التابعين[١].

روى عنه ابنه[٢] قال: زرت بيت المقدس، فأغلقَ عليَّ السَّدَنَةُ أبوابَ الصخرة، وكنتُ نائماً ولم يعلموا بي. قال: فما انتبهتُ إلا بتسبيح الملائكة على الصخرة، فوثبتُ مذعوراً، فإذا الملائكة صفوفٌ على الصخرة، ومَلَكٌ قائم بينهم يقول: سبحان الدائم القائم، سبحان الحيِّ القيوم، سبحان اللهِ وبحمده، سبحان الملك القُدُّوس، ربِّ الملائكة والروح، سبحان العليِّ الأعلى. فيُجيبه من هو أسفل منه، ثم ترتجُّ الصفوف بالتسبيح، فقلتُ للذي يليني منهم: من الذي على الصخرة؟ قال: جبريل، والذي يردُّ عليه ميكائيل، ونحن ملائكةُ الله، مَنْ قالَ هذا الدعاء في كل سنة مرةً، لم يخرج من الدنيا حتى يَرَى مقعدَه من الجنة، أو يُرَى له[٣].

مات أبو الزاهريَّة في سنة إحدى ومئة. وقيل: في سنة تسع وعشرين ومئة. والأوَّل أصحّ.

أسند عن عبد الله بن بُسْر، وأبي أُمامة الباهليّ، وحُذيفة بن اليمان، وأبي الدرداء، وعبد الله بن عَمرو بن العاص، وغيرهم. وروى عنه معاوية بن صالح، وابنُه حُميد بن حُدَيْر، وإبراهيم بن أبي عبلة، وغيرهم، وكان ثقة[٤].

أبو صالح السمَّان

وهو الزيَّات، واسمه ذكوان، مولى غطفان، من الطبقة الثانية[٥] من الموالي بالمدينة.

أسند عن جماعة من الصحابة، وروى عنه خلق كثير، وكان ثقةً كثير الحديث[٦].

---

(١) أورده ابن سعد ٩/ ٤٥٣ في الطبقة الثانية من التابعين من أهل الشام.

(٢) في (ص): روى هشام عنه.

(٣) بنحوه في «تاريخ دمشق» ٤/ ٢٨٣ (مصورة دار البشير).

(٤) ينظر «تاريخ دمشق» ٤/ ٢٨٠ ، و«تهذيب الكمال» ٥/ ٤٩١ .

(٥) يعني من التابعين. ينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ٢٩٦ـ٢٩٧ .

(٦) ينظر «تهذيب الكمال» ٨/ ٥١٤ ـ ٥١٥ .

سالم بن أبي الجَعْد

الغَطَفاني، مولًى لأشجع، من الطبقة الثانية من التابعين.

قال هشام: رخَّص علقمة والأسود لسالم في بيع وَلاء مولًى له من عَمرو بن حُريث بعشرة آلاف درهم، يستعينُ بها على العبادة[١].

وقال الهيثم: كان لأبي الجعد[٢] ستةُ بنين؛ اثنانِ منهم يتشيَّعان، واثنانِ مُرجئان، واثنانِ خارجيَّان، فكان أبوهم[٣] يقول: لقد خالفَ اللهُ بينكم.

مات سالم سنة إحدى ومئة، وكان ثقة كثير الحديث.

عبد الله بن شَقِيق

البصري، كنيتُه أبو عبد الرحمن، العُقيلي، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة.

كان صالحاً مجابَ الدعوة، وتمرُّ به السحابةُ فيقول: اللهم لا تجاوز موضع كذا وكذا. فيكون كما قال، لا تجاوز حتى تُمطر[٤].

وحكى ابن سعد عن أبي قِلابة وذكر عنده عبد الله بن شقيق فقال: أيُّ رجل هو لولا أنه تعرَّب[٥].

قال: وكان عثمانياً.

قيل: توفي في ولاية الحجاج بن يوسف على العراق. وقيل بعد المئة.

---

(١) الخبر في «طبقات» ابن سعد ٨/ ٤٠٨ عن عطاء بن السائب.

(٢) في (ب) و(خ) و(د) (والكلام منها): كان لسالم، والتصويب من «طبقات» ابن سعد ٨/ ٤٠٩ ، و«المعارف» ص ٤٥٢ ، و«سير أعلام النبلاء» ٥/ ١٠٩ .

(٣) تحرفت في النسخ المذكورة إلى: إبراهيم.

(٤) تاريخ دمشق ٩/ ٤١٣ (مصورة دار البشير).

(٥) طبقات ابن سعد ٩/ ١٢٥ ، وذكره أيضاً ابن عساكر في «تاريخه» ٩/ ٤١٣ وقيَّد قوله: تعرَّب، بالعين المهملة، وذكر رواية أخرى بالغين المعجمة.

أسند عن عمر، وأبي هريرة، وابن عباس، وابن عمر، وعائشة ﷺ، وكان ثقةً في الحديث، وروى أحاديثَ صالحة[١].

عمر بن عبد العزيز بن مروان ﷺ

قال المصنف رحمه الله: الأَولى ما نُظر فيه سيرة الزاهد الصالح الورع أبي حفص عمر بن عبد العزيز؛ لأنها مرفوعةٌ على الابتداء، منصوبةٌ على التمييز، تحثُّ الطالب على نيل المطالب، وتُزهِّدُ الراغب في دار المعايب، فنَشْرُ نَشْرِه أذكى من العَنْبَر، ونُور نَوْرِه أنور من القمر الأزهر، ولقد اقتفى آثارَ من سلف من السلف، وعَبَرَ وغَيَّر في وجه من غَبَر، فهو أحقُّ بقول القائل من جميع البشر[٢]:

ما لذَّ في السمع أحلى من حديثك لي ... إذا ذكرتَهُمُ فاذْكُرْ بلا ضَجَرِ
وأنتَ يا مخبري عنهم وذاكرَهُمْ ... أعِدْ حديثَك لي يا طيِّب الخبرِ

وقد ذكرنا جُملاً من أخباره، ولُمَعاً من آثاره، فنختم سيرته بفنون، لمثل هذا فليعمل العاملون[٣].

ذكر طرف من ذلك:

قال خُصيف: رأيتُ في المنام رجلاً قاعداً، وعن يمينه رجل، وعن شماله آخر؛ إذْ أقبلَ عمر بن عبد العزيز، فأراد أن يجلس بين الذي عن يمينه وبينه، فلصق بصاحبه، فدار، فأراد أن يجلس بين الذي عن يساره وبينه، فلصق بصاحبه، فجذبه الأوسط، فأقعده في حجره، فقلتُ: من هذا؟ قالوا: رسول الله ﷺ، وهذا أبو بكر، وهذا عمر[٤].

---

(١) ينظر «تاريخ دمشق» ٩/ ٤١٠، و«تهذيب الكمال» ١٥/ ٩٠.

(٢) من قوله: قال المصنف... إلى هذا الموضع، ليس في (ص)، وجاء فيها بدلاً منه قوله: ذكر سيرته، ونذكر هذا البيتين (كذا) قدام السيرة.

(٣) قوله: لمثل هذا... اقتباس من قوله تعالى من سورة الصافات الآية (٦١). وقد سلف جمل من أخباره وآثاره في أول سنة (٩٩).

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢٤. ولم يرد الخبر في (ص).

وقال أنس: ما صلّيتُ وراء أحدٍ أشبهَ صلاةً برسول الله ﷺ من هذا الفتى. يعني عمر بنَ عبد العزيز[١].

وقال إسرائيل[٢]: رأيتُ عمر بن عبد العزيز يمشي في المدينة وهو من أحسن الناس لباساً[٣]، وأطيبهم ريحاً[٤]، وأخيلهم في مِشْية، ثم رأيتُه بعد ذلك يمشي مِشية الرُّهبان.

قال: وكان عمر يصوم الاثنين والخميس وعشر ذي الحجة والمحرَّم.

وقال جويرية بن أسماء: سمعتُ فاطمةَ بنتَ عليّ بن أبي طالب ذكَرَتْ عُمر بنَ عبد العزيز، فأكثرت الترحُّم عليه، وقالت: دخلتُ عليه وهو أمير المدينة يومئذ، فأخرجَ عني كل خصيّ وحَرَسيّ حتى لم يبقَ في البيت أحدٌ غيري وغيره، ثم قال: يا بنت عليّ، واللهِ ما على ظهر الأرض أهلُ بيت أحبَّ إليَّ منكم، ولأنتُم واللهِ أحبُّ إليَّ من أهل بيتي[٥].

وقال حجَّاج الصوَّاف: أمرني عمر بن عبد العزيز أن أشتريَ له ثياباً وهو أمير على المدينة، فاشتريتُ له ثوباً بأربع مئة درهم، فقطعه قميصاً ثم لمسه بيده وقال: ما أخشنَهُ وأغلظه! ثم أمر بشراء ثوب وهو خليفة فاشتَرَوْه بأربعةَ عشرَ درهماً، فلمسه بيده وقال: سبحان الله ما أنعمه[٦] وأدقَّه!

وقال محمد بن عمار بن سعد القَرَظ: كنَّا نُؤْذِنُ عُمر بنَ عبد العزيز في داره للصلاة فنقول: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاتُه، حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، الصلاةَ يرحمُك الله. وفي الناس الفقهاء لا ينكرون ذلك[٧].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢٦. ونسب الخبر في (ص) إليه.

(٢) الخبر في «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٢٦ من رواية أبي إسرائيل عن علي بن بَذِيمة.

(٣) في (ب) و(خ) و(د) و(ص): مشية. والمثبت من المصدر السابق.

(٤) في (ب) و(خ) و(د): وأطيب الناس، بدل: وأطيبهم ريحاً، والمثبت من (ص).

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢٧. ولم يرد الخبر في (ص).

(٦) في (ص): ما ألينه. والخبر في المصدر السابق ٧/ ٣٢٨.

(٧) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢٨.

وروى ابن سعد عن الواقدي عن مشيخة أهل المدينة[١] أنهم قالوا: كان عمر بن عبد العزيز يؤمُّنا ولا يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم. [وفيه دليل على تقوية مذهب أبي حنيفة][٢].

وعن أيوب السَّخْتِياني أنَّ عُمر بنَ عبد العزيز ردَّ المظالم التي كانت في بيت المال، ثم أمر بأن يزكَّى الباقي لماضي السنين[٣]، ثم نظر فقال: لا يزكَّى إلا لسنة واحدة؛ لأنه ضِمار، أي: هالك[٤].

وكتب عُمر بن عبد العزيز ﷺ إلى أبي بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزْم والي المدينة أن استبرىء الدواوين، فانظر كلَّ جَوْرٍ جارَه مَنْ قَبلي[٥] مِنْ حقٍّ مسلم، أو معاهَد، فرُدَّه عليه، وإن كان من أهل تلك المظلمة قد ماتُوا؛ فادْفَعْه إلى ورثتهم.

وقام يوماً في جامع دمشق وهو خليفة، فنادى بأعلى صوته: لا طاعةَ لنا في معصية الله[٦].

وكان يقول للناس: الحقُوا ببلادكم، فإني أذكُرُكُم ببلادكم وأنسابكم عندي، إلا من ظَلَمه عامل، فليس عليه مني إذْنٌ، فليأْتِني[٧].

وجاءه جماعة من بني مروان فقالوا: إنك قصَّرتَ بنا عمَّا كان يصنعُه مَنْ كان قبلَك. وعاتبوه، فقال: لئن عُدْتُم لمثل هذا المجلس لأَشُدَّنَّ رِكابي، ثم لأقدمَنَّ المدينة ولأجعلنَّها شورى. أما إني لأعرفُ صاحبها الأُعيمش ـ يعني القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ ـ إنَّ لله في بني مروان ذَبْحاً، وأظنُّ أنَّ ذلك الذبح على يدي. وبلغ

(١) في (ب): الحكم، بدل: المدينة. والخبر في «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٢٩ عن الواقدي عن عبد الحكيم بن عبد الله ابن أبي فروة.

(٢) الكلام بين حاصرتين من (ص).

(٣) في «الطبقات» ٧/ ٣٣٦ : أمر أن يزكَّى لما غاب عن أهله من السنين.

(٤) في «القاموس»: الضِّمار من المال: الذي لا يُرجى رجوعه.

(٥) في (ب) و(خ) و(د): جاه من قبل. والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٣٦ . ولم يرد الخبر في (ص).

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣٧ ، ونُسب الخبر في (ص) إليه.

(٧) المصدر السابق.

القاسم فقال: رحم الله عُمر، إنَّ القاسم ليضعف عن أُهَيْلِهِ، فكيف يقومُ بأمرِ أمَّةِ محمد ﷺ[١]؟!

وكان عُمر رضي الله عنه يقول: لو كان إليَّ من الأمر شيءٌ ما عَدَوْتُ بها القاسم، أو صاحب الأَعْوص. يعني إسماعيل بن عَمرو بن سعيد بن العاص. وكان عابداً منقطعاً اعتزل الناس، فنزل الأَعْوص[٢].

وإسماعيل هذا هو أبو محمد الأموي، كان عالماً زاهداً، وكان مع أبيه لما غلبَ على دمشق، ثم سيَّره عبد الملك إلى الحجاز مع إخوته، ثم سكن الأعوص، واعتزل الناس، فلم يدخل في شيء من أمور الدنيا، وكان عمر بن عبد العزيز يراه أهلاً للخلافة[٣].

وروى عن ابن عباس وغيره، وروى عنه شريك بن عبد الله بن أبي نمر، وغيره.

وقال الزُّبير بن بكَّار: كان يسكنُ الأعْوَص شرقيَّ المدينة على بضعة عشر ميلاً ـ وقيل: على بريد منها ـ ولم يلتبس بشيء من الدنيا ولا سلطان بني أمية[٤].

وعاش إلى أيام بني العباس، ولما قدم داود بنُ عليّ المدينة قيل لإسماعيل: لو تحوَّلتَ. فقال: لا والله. فلم يعرض له داود، وعاش بعد ذلك يسيراً، ومات رحمه الله.

وقتلَ داود جماعةً من بني أمية، ثم اجتمعَ بإسماعيل، فقال له داود: أساءك ما فعلتُ بأصحابك؟ فقال: كانوا يداً فقطعتَها، وعَضُداً فبَتَّتَها، ورُكْناً فهدمتَه، وجناحاً فهِضْتَه[٥]. قال داود: فإني خليقٌ أن أُلحقَك بهم. فقال: إني إذاً لسعيد[٦].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣٨ .

(٢) المصدر السابق. والأَعْوص: موضع قرب المدينة، وسيذكره المصنف بعد أسطر.

(٣) تاريخ دمشق ٢/ ٨٦٨ (مصورة دار البشير). وينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ٤٥٣ .

(٤) أخرجه ابن عساكر ٢/ ٨٦٩ عن الزبير بن بكار.

(٥) أي: كسرته. وفي «تاريخ دمشق» ٢/ ٨٧٠ : نتفته.

(٦) تاريخ دمشق ٢/ ٨٧٠ (مصورة دار البشير).

والأعْوَص من ناحية العراق[١].

وقال خادم لعمر ﷺ: إنه لم يمتلىء من طعام من يومَ وليَ حتى مات، ووضع المَكْس عن كلِّ أرض، وأباح الأحماءَ كلَّها إلا النَّقِيع[٢]، وأمر أن تُبنى الخانات بطريق خُراسان، وفرضَ لكلِّ منفوس[٣].

وكان إذا جلس يقضي حوائج الناس يأمر بشمعة من بيت المال، فإذا شرعَ في حاجة نفسِه طفأها[٤].

وحرَّم الطِّلاء[٥] في كلِّ أرض، وأمر أن لا يدخل أحد من الرجال الحمام إلا بمئزر، ولا يدخله النساء.

وكان يخرج إلى العيد ماشياً، ويقول: لا تركبوا إلى الجمعة والعيدين[٦].

وكان يبدأ بتكبير التشريق من صلاة الظهر يوم عرفة إلى صلاة العصر[٧] من أيام التشريق.

وكان إذا صعد المنبر في العيد سلَّم[٨].

قال ميمون بن مهران: كان عمر بن عبد العزيز معلّم العلماء، وكانوا بين يديه تلامذة[٩].

وأُخرج بين يديه مِسك من الخزائن، فأمسك عمر ﷺ أنفه بيده مخافة أن يجد ريحه، فقال له رجل: ما ضرَّك لو وجدت ريحه! فقال عمر: وهَلْ يراد من هذا إلا ريحُه[١٠]!

---

(١) من قوله: وكان يقول للناس الحقوا ببلادكم (قبل صفحة) إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٢) النَّقِيع: موضع قرب المدينة كان يستنقع فيه الماء (أي: يجتمع) حماه عمر ﷺ لنَعَم الفَيْء وخيل المجاهدين، فلا يرعاه غيرها. ينظر «النهاية» (نقع).

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣٩ و٣٤٠. ونُسب الكلام في (ص) إليه.

(٤) المصدر السابق ٨/ ٣٤١.

(٥) هو نبيذ مطبوخ يسمَّى طِلاءً تحرُّجاً من أن يسمَّى خمراً. ينظر «النهاية» (طلى).

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٥٤.

(٧) في «الطبقات» ٧/ ٣٥٤: الظهر.

(٨) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٥٥.

(٩) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٥٩، وتاريخ دمشق ٥٤/ ١١٧ـ١١٨ (طبعة مجمع دمشق).

(١٠) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٥٩.

وأوَّلُ كتاب كتبه عمر رضي الله عنه إلى عبد الحميد كان سطراً واحداً: أما بعد، إذا أتاك كتابي فأعْطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه. والسلام. فكتب إليه عبد الحميد: إن رجلاً سبَّك، فحبستُه، وقد هممتُ أن أضربَ عنقه، فما ترى فيه؟ فكتبَ إليه: لو قتلتَه لأقَدْتُك به، إنه لا يُقتل إلا مَنْ سبَّ رسولَ الله ﷺ، فاسْتَتِبْه، وخَلِّ سبيلَه[١].

وقال محمد بن الزُّبير الحنظلي: دخلتُ على عمر بن عبد العزيز وهو يتعشَّى كِسَراً وزيتاً، فقال: ادْنُ فكُلْ. فقلت: بئس طعام المقرور[٢]. فأنشد عُمر:

إذا ما ماتَ مَيْتٌ من تميمٍ ... فَسَرَّكَ أنْ يعيشَ فَجِئْ بِزادِ
بخبزٍ أو بلحمٍ أو بتمرٍ ... أو الشيءِ الملفَّفِ في البِجادِ[٣]

[ثم أنشدني بيتاً ثالثاً:]

تراه ينقل البطحاء شهراً ... ليأكلَ رأسَ لقمانَ[٤] بنِ عادِ

[قلت: والبيت الأول حكاية جرت لمعاوية، وقد ذكرناها في سيرته]

فقلت: يا أمير المؤمنين، ما كنتُ أرى أنَّ البيت الثالث فيها. قال: بلى.

وقال محمد التيمي: إن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما وليَ منع قرابته ما كان يجري عليهم، وأخذَ منهم القطائع التي كانت في أيديهم، فشَكَوْه إلى عمَّته أمِّ عمر، فدخلت عليه فقالت: إنَّ قرابتك يشكونك ويزعمون أنك أخذتَ منهم خير غيرِك. فقال: ما منعتُهم حقّاً كان لهم، ولا أخذتُ منهم شيئاً كان لهم. فقالت: إني رأيتُهم يتكلَّمون، وأخاف أن يهيجوا عليك يوماً عصيباً. فقال: كلُّ يوم أخافُه دونَ يوم القيامة فلا وقاني اللهُ شَرَّه. ثم دعا بدينار وجَنْب ومجمرة، فألقَى الدينارَ في النار، وجعلَ ينفخُ على الدينار، فلما احمرَّ تناولَه بشيء، فألقاه على الجَنْب، فنَشَّ وقَتَرَ، وقال: أي عمَّة، أما

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٦٠ دون قوله أول الخبر: وأولُ كتاب كتبَه... إلى قوله: والسلام. وكذا في (ص).

(٢) الرجل المقرور: الذي أصابه البرد.

(٣) البِجاد: كساء مخطَّط من أكسية العرب. والملفَّف في البِجاد: وَطْب اللبن (أي: سِقاء اللبن). وينظر «أدب الكاتب» ص ١٥ ، و«بهجة المجالس» ١/ ١٠٨ .

(٤) في (ب) و(خ) و(د): شداد، بدل: لقمان. والمثبت من المصادر. ولقمان بن عاد وشداد بن عاد كلاهما من ملوك حمير في اليمن... ولم يرد هذا البيت (الثالث) في (ص)، وما قبله وما بعده بين حاصرتين منها. والخبر في «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٦٣ .

تأوين[١] لابن أخيك من مثل هذا؟ فقامت، فخرجت على قَرابته، فقالت: تزوّجون آلَ عُمر، فإذا نزعوا إلى الشِّبْه جزعتُم! اصبروا له[٢].

وقيل له: غَيَّرتَ كلَّ شيء حتى مِشْيتَك! فقال: واللهِ ما كانت إلا جنوناً. وكان إذا مشى خطر بيديه[٣].

وقال ربيعة الشَّعْوَذِيّ[٤]: ركبتُ في البريد إلى عمر، فانقطع بي البريدُ في أرض الشام، فركبتُ على دوابِّ السُّخْرة[٥] حتى أتيتُه، فقال: ما فعل جناحُ المسلمين؟ قلت: وما جناح المسلمين؟ قال: البريد. قلت: انقطع في أرض كذا وكذا. قال: فعلى أيِّ شيء جئتَنا؟ قلت: على دوابّ السُّخْرة. قال: أتُسَخِّر في سلطاني؟! فأمرَ به، فضُرب أربعين سَوْطاً[٦].

وقال فراتُ بن مسلم: اشتهى عمر ﷺ تفاحاً، فبعث إلى بيته، فلم يجدن[٧] شيئاً يشترون به، فركب وركبنا معه، فمرَّ بدَيْرٍ، فتلقَّاه غلمانُ الدَّيْر معهم طبقٌ فيه تفاح [أو أطباق] فتناول تفاحةً فشمَّها، ثم أعادها إلى الطبق، ثم قال: ادخُلوا دَيْرَكم، لا أعلمُ أنكم بعثتُم إلى أحد من أصحابي بشيء إلا عاقبتُكم. فقلت له: يا أمير المؤمنين، اشتهيتَ التفاح، فلما أُهدِيَ إليك رددْتَه، وقد كان رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وعُمر يقبلون الهديَّة! فقال: لا حاجةَ لي فيه، إن أولئك كانت لهم الهدايا، وهي للعمال بعدَهم رِشْوة[٨].

---

(١) أي: تَرقّين وترحمين.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٦٤، وتاريخ دمشق ص ٥٤٢ (طبعة مجمع دمشق ـ تراجم النساء).

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٦٤. ولم يرد هذا الخبر في (ص).

(٤) في «اللسان» (شعذ): الشَّعوذَة: السرعة، وقيل: هي الخِفَّة في كل أمر. والشَّعْوَذِيّ: رسول الأمراء في مهماتهم على البريد، وهو مشتق منه لسرعته. وقال الليث: الشعوذة والشعوذي مستعمل، وليس من كلام البادية.

(٥) السُّخْرَة: ما سَخَّرْتَه من دابَّة أو رَجُلٍ بلا أجرٍ ولا ثمن.

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٦٥.

(٧) في (ب) و(خ) و(د): يجدون، والمثبت من (ص). وفي «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٦٧: يجد، ونُسب الخبر في (ص) إليه.

(٨) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٦٧.

وقال فرات بنُ مسلم: كنتُ أعرض على عمر بن عبد العزيز كتبي في كل جمعة، فعرضتُها عليه، فأخذ منها قرطاساً قدر شبر، أو أربع أصابع كتب فيه حاجة له، فقلت: غفل أميرُ المؤمنين. فلما كان من الغد بعث إليَّ أن ائتِ بكتبك. فأتيتُه بها، فبعثني في حاجة، فلما جئت قال: خُذْ كتبَك. فأخذتُها، فلما فتحتُها وجدتُ فيها قرطاساً قدر القرطاس الذي أخذ من كتبي[١].

وقال وُهيب بنُ الورد: اتَّخذَ عمر بن عبد العزيز داراً لطعام الفقراء والمساكين وابن السبيل وقال لأهله: إياكم أن تصيبوا من هذه الدار شيئاً. فجاءت يوماً مولاةٌ له ومعها صَحْفة فيها غَرْفة من لبن، فقال لها عمر رضي الله عنه: ما هذه معك؟ قالت: زوجتُك فلانة حامل وتَشَهَّت غَرْفَةً من لبن، والحاملُ إذا تَشَهَّتْ شيئاً ولم تُؤتَ به تُخوِّف على ما في بطنها أن يسقط. فقال: إذا لم يمسك ما في بطنها إلا طعام الفقراء والمساكين فلا أمسكه الله، رُدِّيه. فقالت زوجته: رُدِّيه، فواللهِ لا أذوقُه أبداً[٢].

وكتب [عمر] إلى عديّ بن أرطاة: أما بعد، فانظر إلى أهل الذِّمَّة، فارْفُقْ بهم، وإذا كَبِرَ أحدهم وليس له مال؛ فأنفِقْ عليه، فإنْ كان له حميمٌ فمُره بالإنفاق عليه وقاصِّه من خَرَاجِه[٣] كما لو كان لك عبد فكَبِرَتْ سنُّه لم يكن لك بدٌّ أن تنفقَ عليه حتى يموت أو يَعتِق. وقد بلغني أنك تأخذُ من الخمر العشور، فتلقيه في بيت المال [أو: بيت مال الله] فإياك أن تُدخلَ بيتَ مالِ الله إلا طيِّباً. والسلام[٤].

وكان يكتب إلى عماله أن لا تلبس أمةٌ خِماراً، ولا يتشبَّهن بالحرائر[٥].

وقال له رجل: أبقاك الله. فقال: هذا أمرٌ قد فُرغ منه، ادْعُ لي بالصَّلاح.

وبعث ببغلته إلى الرَّعْي، ما قَدَرَ على علفها، ثم باعها بعد[٦].

---

(١) المصدر السابق ٧/ ٣٦٧ـ٣٦٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٦٨ـ٣٦٩، ونسب الخبر في (ص) إليه.

(٣) جاء في «القاموس»: تقاصَّ القوم: قاصَّ كل واحد منهم صاحبه في حساب وغيره. ووقع في «طبقات» ابن سعد: جراحه، بدل: خراجه. وهو خطأ.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧٠. وما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٥) المصدر السابق ٧/ ٣٧١.

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧٢. ولم ترد هذه الفقرة في (ص).

وأمر أن لا يسخَّن ماؤه الذي يتوضأ به في مطبخ العامة[١].

[وقال ابن سعد: حدثنا أحمد بن أبي إسحاق، عن حمَّاد بن زيد قال: حدثني موسى بن أعين ـ راعٍ كان لمحمد بن عيينة ـ قال: كنَّا نرعى الشاة بكِرْمان في خلافة عمر بن عبد العزيز، فكانت الشاءُ والذئاب والوحش ترعى في موضع واحد، فبينما نحن ذات ليلة؛ إذ عرض الذئب لشاة، فقلنا: ما نرى الرجل الصالح إلا قد هلك. قال حمَّاد: فنظروا، فإذا عمر قد مات في تلك الليلة][٢].

وقال محمد بن عمر: بعث عمر بن عبد العزيز إلى المدينة عشرة آلاف دينار، وأمر ابنَ حزم أن يقسمها في بني هاشم ويسوِّيَ بين الصغير والكبير، والذكر والأنثى، فأنكر ذلك زيد بن الحسن، وقال: يسوِّي بين الكبير والصغير! وأغلظ لعمر، فقال له أبو بكر: لا تبلغ هذه المقالة عنك أمير المؤمنين فيغضبه ذلك، وهو حَسَنُ الرأي فيكم. فقال زيد: أسألك بالله إلا أخبرتَه بذلك. فكتب أبو بكر إلى عُمر يخبره بالمقالة، فلم يؤاخذه عمر رحمة الله عليه.

وكتبت إليه فاطمة بنت الحسين تشكرُ له ما صنع، وقالت: يا أمير المؤمنين، لقد أخدمتَ من لم يكن له خادم، واكتسى من كان عارياً ـ وكان قد أصابَ كلُّ واحد خمسين ديناراً ـ فسُرَّ عمر بذلك، فكتب إليها يذكر فضل بيتها وفضلها، ويذكر ما أوجبَ الله لهم عليه وعلى الناس من الحقّ، وبعث إليها بخمس مئة دينار، وأعطى رسولَها عشرة دنانير[٣].

وقدم رجل من الأنصار على عمر بن عبد العزيز ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين، أنا فلان بن فلان، قُتل جدِّي يوم بدر، وأبي يومَ أُحُد. وجعل يذكر مناقب آبائه، فنظر عمر ﷺ إلى عَنْبَسة بن سعيد وهو إلى جنبه وقال: هذه واللهِ المناقب، لا مناقبكم؛ مَسْكِن ودَيْر الجماجم! وأنشد:

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧٤.

(٢) المصدر السابق ٧/ ٣٧٦. وهذا الخبر (وهو بين حاصرتين) من (ص).

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧٨ـ٣٧٩، ونُسب الخبر في (ص) إليه.

تلك المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبَنٍ[١]

وكتب إلى عمَّاله أن يَنْهَوْا النساء عن الخروج مع الجنائز والنِّياحة والبكاء، وكشف وجوههنَّ ونَشْرِ شعورهنَّ، وشَقِّ جيوبهنَّ، وقال: إنما ذلك فعل الجاهلية والأعاجم[٢].

وسُئل عن عليّ وعثمان رضوان الله عليهما والجمل وصفِّين، وما كان بينهم، فقال: تلك دماءٌ كفَّ اللهُ يدي عنها، فأنا أكره أن أغمسَ لساني فيها[٣].

وقدم عليه بلالُ بن أبي بُرْدَة وأخوه عبدُ الله من الكوفة، فاختصما إليه في الأذان في مسجدهم، فارتابَ بهما عمر ﷺ، فَدَسَّ إليهما رجلاً من أصحابه يقال له: العلاء بن المغيرة، وكان بلال قد لزم ساريةً يتعبَّد عندها ليلاً ونهاراً، فقال لهما: ما تقولان إن كلَّمتُ أميرَ المؤمنين فولاَّكما العراق؛ ما تجعلان لي؟ فبدأ الرجل ببلال، فقال: أُعطيك مئة ألف درهم. ثمَّ أتى أخاه فقال له مثلَ ذلك، فأخبرَ الرجلُ عمر ﷺ، فقال لهما: الحقا بمصرِكما. وكتبَ إلى عبد الحميد: لا تُولِّ بلالاً بُليل الشَّر، ولا أحداً من ولد أبي موسى شيئاً. إذْ سبكنا بلالاً فوجدناه خبثاً كلَّه[٤].

ولما ولِيَ عمر بن عبد العزيز ﷺ الخلافة كتبَ إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ: اكتُبْ إليّ بسيرة عمر. فكتب إليه: إنَّ عمر كان في غير زمانك، وفي

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٨١. وعجز البيت فيه: شِيبَا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا. وهو من قصيدة لأبي الصَّلْت (والد أمية) في مدح فارس حين قتلوا الحبشة. ينظر «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٢٦٠-٢٦٢. ومَسْكِن: موضع على نهر دُجَيْل عند دير الجاثليق، به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير سنة (٧٢)، وقُتل فيها مصعب، ودَيْر الجماجم: موضع بظاهر الكوفة كانت عنده الوقعة بين الحجاج بن يوسف وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث سنة (٨٢) وكُسر فيها ابن الأشعث. ينظر«معجم البلدان» ٢/ ٥٠٣ـ٥٠٤ و٥/ ١٢٧. والقَعْب: قدح ضخم.

(٢) بنحوه في «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٨١. ونُسب الخبر في (ص) إليه.

(٣) المصدر السابق ٧/ ٣٨٢. ونسب الخبر في (ص) إليه.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٨٣ دون قوله آخره: إذ سبكنا...إلخ. فهو في «تاريخ دمشق» ٣/ ٤٩٠ (مصورة دار البشير- ترجمة بلال بن أبي بردة) ولم يرد هذا الخبر في (ص).

رجالٍ غيرِ رجالِك، وإن عملتَ في زمانك ورجالك بمثل ما عملَ به عمر؛ كنتَ مثلَ عمر وأفضلَ منه[١].

وقال الحسن بن أبي العمرَّطة: كنتَ إذا رأيتَ عمر قبل أن يستخلف تعرفُ الخير في وجهه، فلما استُخلف رأيتَ الموتَ بين عينيه[٢].

وكان له بِرْذَوْن وعبدٌ يستقي له الماء، ويحتطب له، فقال العبد يوماً: يا مولاي كلُّ الناس بخير إلا أنا وأنت[٣]. قال: اذهبْ فأنت حرّ.

وكان قد جعل للخُمْسِ بيتَ مال على حدة، وللصدقة بيت مال على حدة، وللفيء بيت مال على حدة.

وكتب إلى الآفاق: لا يُكتب في طُومار[٤]، فكانت كتبُه إنما هي شبر أو نحوه.

ولم يرتزق عمر رضي الله عنه من بيت المال شيئاً حتى مات.

وقال عمر رضي الله عنه: خُلِقَتْ لي نفسٌ توَّاقة، فلم تزل تتوَّق إلى الإمارة حتى نلتُها فلما نلتُها تاقت إلى الخلافة، فلما نلتُها تاقَتْ إلى الجنة[٥].

وقال عمارة بن أبي حفصة: إن مسلمة بن عبد الملك دخل على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في مرض موته[٦]، فقال لأخته فاطمة بنتِ عبد الملك امرأةِ عُمر: إني أرى أميرَ المؤمنين قد أصبح اليوم مُفِيقاً، وإني أرى قميصه دنساً[٧]، فألبسيه غيره حتى نأذن للناس عليه. فسكتَتْ [فقال: ألبسي أمير المؤمنين غير هذا القميص. فقالت: واللهِ ما له غيره][٨].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٨٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) بعدها في (ب) و(خ) و(د): وهذا البِرْذَوْن! والمثبت من (ص) وهو كذلك في «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٨٧.

(٤) بعدها في «الطبقات»: بقلم جليل ولا يمدَّنَّ فيه. والطومار (أو الطامور): الصحيفة.

(٥) من قوله: وكان قد جعل للخمس بيت مال... إلى هذا الموضع، لم يرد في (ص). والكلام في «الطبقات» ٧/ ٣٨٧ـ٣٨٨.

(٦) قوله: في مرض موته، ليس في (ص)، وينظر الكلام الآتي بعد تعليقين.

(٧) في «الطبقات»: درناً.

(٨) طبقات ابن سعد٧/ ٣٨٩. والكلام بين حاصرتين من (ص). وينظر«تاريخ دمشق»٥٤/ ١٧٠ـ١٧١.

فدخل عليه ثلاثة أيام يقول في كل يوم: اغسلوا قميصه. فبكت فاطمة في اليوم الثالث وقالت: والله ما له غيره[١].

وخطب الجمعة يوماً بخُناصرة[٢] وقميصُه مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه، فلما نزل قيل له: إن الله قد أعطاك، فلو لبست وصنعت! فنكَّس رأسه مليّاً ثم رفعه وقد عرفوا أنه ساءه ذلك، فقال: إن أفضل القصد عند الجِدَة[٣]، وأفضل العفو عند المقدرة[٤].

وقال أبو سريع[٥] الشامي: كان سببُ زهد عمر في الدنيا وإقباله على الآخرة أن بعض عبيده جنى جنايةً، فأمر به فبُطح ليضربه، فقال له: يا مولاي، هل جنيتَ جناية غضب بها عليك مولاك؟ قال: نعم. قال: فهل عاجلك بالعقوبة؟ فانتبه عمر وقال: أطلِقُوه، فأنتَ حرٌّ لوجه الله.

وقال المصنف رحمه الله: قرأتُ على شيخنا موفق الدين رحمه الله بروايته عن محمد بن البرَّاء أنَّه ذكر في كتاب «الروضة» أن رجلاً حدَّث عمر بن عبد العزيز أنَّ مَلِكاً من الملوك بنى مدينة فتنوَّقَ في بنائها، ثم صنع طعاماً، ودعا الناسَ إليه، وأقعدَ على أبوابها أناساً يسألون الناس؛ كلَّ من خرج منها: هل رأيتم بها عيباً؟ فيقولون: لا. حتى جاء آخر القوم؛ أناس عليهم أكسية، فسألهم: هل رأيتُم بها عيباً؟ قالوا: نعم، عيبين اثنين. قالوا: وما هما؟ قالوا: تخربُ ويموتُ صاحبها. فحبسوهم وأخبروا الملك بذلك، فأحضرَهم، وسألهم، فقالوا مثل مقالتهم، فوقع كلامُهم في قلبه، فبكى وقال: هل تعرفون داراً لا تخرب ولا يموتُ صاحبها؟! قالوا: نعم، الجنة. قال: فميعاد ما بيني وبينكم وقتُ السَّحَر بمكان كذا وكذا.

---

(١) جاءت هذه الفقرة في (ص) بلفظ: ورواية أبي الحسين بن سمعون قال: كان ذلك في مرض موته، وأن مسلمة دخل عليه ثلاثة أيام، يقول في كل يوم: اغسلوا قميصه. وأن فاطمة بكت في اليوم الثالث وقالت: واللهِ ما له غيره!

(٢) بُليدة من أعمال حلب تحاذي قنّسرين نحو البادية. معجم البلدان ٢/ ٣٩٠.

(٣) قرأها محقق «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٩٠: الحدَّة!

(٤) المصدر السابق. ولم يرد هذا الخبر في (ص).

(٥) في (ص): ابن سريع.

قال: فخرج معهم وترك ملكه، وأقامَ يتعبَّد معهم، فقال لهم ذات يوم: السلام عليكم. قالوا: فهل رأيتَ منَّا شيئاً تكرهُه؟ قال: لا، ولكنكم تعرفوني، فتعظِّموني، وأحبُّ أن أكون في مكان لا أُعرف، ثم فارقَهم وهم يبكون.

قال: فلما سمع عمر بن عبد العزيز هذا قام، وخرج إلى البَرِّيَّة، وترك الخلافة، فجاءه مسلمة بنُ عبد الملك وقال له: اتق الله في أمَّة محمد ﷺ فواللهِ لئن فعلتَ ليَقتَتِلُنَّ بأسيافهم. فسكن[١].

وقال ابن سعد: قيل لعمر: يا أمير المؤمنين، لو أتيتَ المدينة، فإنْ قَضَى اللهُ موتاً؛ دُفنْتَ في موضع القبر الرابع مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، فقال: لأَنْ يعذِّبني الله بكل عذاب إلا النار[٢]؛ أحبُّ إليَّ من أن يعلم أني أُرى لذلك أهلاً.

وقال عمر رضي الله عنه يوماً لكاتبه سليمان بن سعد: بلغني أن عاملنا فلاناً كان زنديقاً. فقال الكاتب: وما يضرُّك؟ قد كان أبو النبيّ ﷺ كافراً، فما ضرَّه. فغضبَ عُمر رضي الله عنه وقال: ما وجدتَ مثلاً إلا أبا رسول الله ﷺ! فعزله[٣].

[قال أبو الحسين الرازي: وسليمان بن سعد هذا من أمراء دمشق، وهو أول من نقل الديوان من اللغة الرومية إلى العربية، وكان مولىً من أهل الأردن][٤].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: يُروى في الحديث أنَّ الله تعالى يبعثُ على رأس كلِّ مئة سنة لهذه الأمة من يجدِّدُ لها دينَها. فنظَرْنا في المئة الأولى فإذا هو عُمر بن عبد العزيز، وفي الثانية الشافعيّ[٥].

وقال سفيان الثوري: الخلفاء خمسة. فذكر الأربعة؛ قال: والخامس عمر بن عبد العزيز[٦].

---

(١) الخبر في «التوابين» لابن قدامة ص ٦٩ـ٧١ باختلاف يسير.

(٢) بعدها في «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٩١ : فإني لا صبر لي عليه. ولم يرد هذا الخبر في (ص).

(٣) تاريخ دمشق ٧/ ٦١٤ (مصورة دار البشير ـ ترجمة سليمان بن سعد).

(٤) المصدر السابق ٧/ ٦١٢ . والكلام بين حاصرتين من (ص).

(٥) صفة الصفوة ٢/ ١١٣ .

(٦) المصدر السابق.

وقال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز: لما ردَّ عمر المظالم وانتزعَها من يد أهله وأقاربه؛ كتب إليه عمر بن الوليد بن عبد الملك: أما بعد؛ فإنك أزْرَيتَ على من كان قبلك من الخلفاء، وعبتَ عليهم، وسرتَ بغير سيرتهم بغضاً لهم وشَنْئاً لمن بعدَهم من أولادهم، قطعتَ ما أمرَ الله به أن يُوصل؛ إذ عمدت إلى أموال قريش ومواريثهم فأدخلتها بيتَ المال جوراً وعدواناً، ولن تُترك على هذا.

فغضب عمر وكتب إليه: من عبد الله عمر أميرِ المؤمنين إلى عمر بن الوليد، أما بعد، فإني قرأتُ كتابك وسأجيبك بنحوٍ منه:

أما أوَّلُ شأنك يا ابنَ الوليد كما زعم أبوك؛ فأمُّك بنانة أَمَةُ السَّكون، كانت تطوف في أسواق حمص، وتدخل حوانيتها، ثم الله أعلم بها، اشتراها ذبيان من فَيْء المسلمين، فأهداها للوليد، فحملت بك، فبئس المحمول وبئس المولود، ثم نشأتَ فكنتَ جباراً عنيداً، تزعمُ أني من الظالمين، لِمَ حرمتُك[1] وأهلَ بيتك فَيْءَ الله الذي فيه حقُّ القرابة والمساكين والفقراء واليتامى، وإنَّ أَظْلَمَ منّي وأَتْرَكَ لِعهدِ الله من استعملكَ على جُند المسلمين تحكُم فيهم برأيك، ولم تكن له في ذلك نيَّة إلا حبُّ الوالد لولده، فويلٌ لك وويلٌ لأبيك، ما أكثرَ خُصَماءَكما يومَ القيامة! وكيف ينجو أبوك من خصمائه؟! وإنَّ أَظْلَمَ منِّي وأَتْرَكَ لِعهدِ الله مَن استعملَ الحجاجَ بنَ يوسفَ يسفك الدم الحرام، ويأخذُ المالَ الحرام، ويفعلُ ما فعل، وإنَّ أظْلَمَ مني وأتْرَكَ لِعهدِ الله من استعمل قُرَّة بنَ شريك أعرابيّاً جَلْفاً جافياً على مصر، وأذِنَ له في اللهو والشرب والمعازف، وإنَّ أظْلَمَ مني وأتْرَكَ لعهد الله من استعمل عثمان بن حيَّان على الحجاز ينتهك حرمة الله، ويُنشد الأشعار على منبر رسول الله ﷺ، وإنَّ أظلم مني وأترك لعهد الله من جعلَ لغاليةَ البربرية سهماً في خُمس العرب، فرويداً يا ابنَ بنانة، فلو التقَتْ حَلْقتا البِطان[2] ورُدَّ الفَيْءُ إلى أهله؛ لتفرَّغْتُ لك ولأهلِ بيتك، فوضعتُكم

(١) في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢٨٧ (طبعة مجمع دمشق): أنْ حَرَمْتُك.

(٢) هو مَثَل يُضرب في الحادثة إذا بلغت النهاية. قال الميداني في «مجمع الأمثال» ٢/ ١٨٦: يقولون: «البِطان للقَتَب: الحِزام الذي يُجعل تحت بطن البعير، وفيه حلقتان، فإذا التقتا؛ فقد بلغ الشدُّ غايتَه». ووقع في (ب) و(خ) و(د) (والكلام منها فقط): التقتا حلقتا البطان. وأثبتُّ اللفظة على الجادّة.

على المَحَجَّة البيضاء، فطالما تركتُم الحقَّ، وأخذتُم في بُنَيَّات الطريق، ومن وراء هذا ما أرجو أن أكون رأيتُه؛ بَيْعُ رقبتِك، وقَسْمُ ثمنِك بين اليتامى والمساكين والأرامل، فإنَّ لكلٍّ فيك حقّاً، ولقد هممتُ أن أبعثَ إليك من يجزُّ جَمَّتَك جَمَّةَ السوء، والسلام علينا، ولا ينالُ سلامُ الله الظالمين[١].

وكتب عمر ﷺ إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أمَّا بعد، فإنك كتبتَ إليَّ تذكرُ أنَّ سليمان كان يقطع للولاة بالمدينة من بيت المال ثمن شمع يستضيئون به حين يخرجون إلى صلاة العشاء والفجر[٢]، ولقد عهدتُك وأنت تخرجُ من بيتك في الليلة المظلمة الماطرة الوَحِلة بغير سراج! ولعمري لأنتَ يومئذٍ خيرٌ منك اليوم، والسلام.

وقال الفِهْرِيّ: كان عمر بن عبد العزيز يقسم تفاح الفَيْء، فتناول ابنٌ له صغيرٌ تفاحةً، فانتزعَها من فيه، فأوجعه، فسعى إلى أمِّه مستعبراً، فأرسلَتْ إلى السوق، فاشترت له تفاحاً، فلما رجع عمر؛ وجدَ ريح التفَّاح، فقال: يا فاطمة، هل أتيتِ شيئاً من تفَّاح الفَيْء؟ فقالت: لا. وقصَّت عليه القصَّة، فقال: واللهِ لقد انتزعتُها من فيه، ولكأنَّما نزعتُها من قلبي، ولكن كرهتُ أن أُضيِّع نصيبي من الله بتفاحة من فَيْء المسلمين[٣].

وقال عبد السلام مولى مسلمة بن عبد الملك: بكى عمر بنُ عبد العزيز، فبكت فاطمة، فبكى أهلُ الدار، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء. فلما تجلَّت عنهم العَبْرة قالت له فاطمة: بأبي أنت يا أمير المؤمنين، مِمَّ بكَيْتَ؟ قال: ذكرتُ منصرفَ القوم من بين يدي الله ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾[الشورى: ٧] ثم صرخ وغُشي عليه[٤].

وقال رجاء بن حَيْوَة: كان الوفود يجتمعون على بابه فيبكي، ويُبكي أهلَ بيته ويُبكي الوفد، ثم ينصرفون ولا يسألون عن بكائه، قد علموا ما به.

---

(١) تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٨٧(طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة عمر بن الوليد)، وصفة الصفوة٢/ ١١٦ ـ١١٧.

(٢) بعدها في «صفة الصفوة» ٢/ ١١٩ : وتذكر أنه قد نفد الذي كان يُستضاء به، وتسأل أن يُقطع لك من ثمنه بمثل ما كان للعمال.

(٣) صفة الصفوة ٢/ ١٢٠ .

(٤) حلية الأولياء ٥/ ٢٦٩ ، والمصدر السابق ٢/ ١٢١ .

وقال زياد بن أبي زياد المدني: أرسلني مولاي ابنُ عياش بن أبي ربيعة إلى عمر بن عبد العزيز في حوائج له، فدخلتُ عليه وعنده كاتب يكتب، فقلت: السلام عليك، فقال: وعليكم السلام. ثم انتبهت فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: لسنا ننكر الأولى. وعنده كاتب يقرأ عليه مظالم جاءت من البصرة، فقال: اجلس. فجلستُ على أُسْكُفَّةِ الباب وهو يقرأ عليه وعُمر يتنفَّس صَعَداً، فلما فرغ؛ أخرجَ من كان في البيت حتى وصيفاً كان فيه، ثم قام يمشي حتى جلسَ بين يديّ، ووضع يدَيْه على ركبتيَّ، ثم قال: يا ابن أبي زياد، استدفأتَ في مِدْرَعتك هذه ـ قال: وعليَّ مِدْرَعَةٌ من صوف ـ واسترحتَ ممَّا نحن فيه؟ ثم سألني عن صلحاء أهل المدينة؛ رجالِهم ونسائهم، فما ترك منهم أحداً إلا وسألني عنه، ثم قال: أترى إلى ما وقعتُ فيه؟ فقلت: أبشِرْ، فإني لأرجو لك خيراً. فقال: هيهات هيهات! أَشْتِمُ ولا أُشْتَم! وأَضربُ ولا أُضرَب! وأُوذِي ولا أُوذَى! ثم بكى حتى جعلتُ أرثي له، فأقمتُ حتى قضى حوائجي، ثم أخرج من تحت فراشه عشرين ديناراً، فقال: استعن بهذه، فإنه لو كان لك في الفَيْء حقٌّ أعطيناك حقَّك، إنما أنتَ عبد. فأبيتُ أن آخذَها، فقال: إنما هي من نفقتي. فلم يزل بي حتى أخذتُها، وكتبَ إلى مولاي يسألُه أن يبيعني منه، فأبى وأعتقَني[1].

وقال عمرو بن أبي المهاجر: قال لي عُمر بن عبد العزيز: إذا رأيتَني قد مِلْتُ عن الحقّ؛ فضَعْ يديك في تلبابي[2]، ثم هُزَّني وقل: يا عمر، ما تصنع[3]؟

وقال القاسم بن غزوان: إنْ كان عمر بن عبد العزيز ليتمثَّل بهذه الأبيات:

أيقظانُ أنتَ اليومَ أم أنتَ نائمُ ... وكيفَ يُطيقُ النومَ حيرانُ هائمُ
فلو كنتَ يقظانَ الغداةَ لقطَّعَتْ ... مدامعَ[4] عينيك الدموعُ السواجمُ

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ١٢١ـ١٢٢. ومن قوله: وقال سفيان الثوري: الخلفاء خمسة، (قبل ثلاث صفحات) ... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٢) في (ص): ثيابي.

(٣) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٢ ، وصفة الصفوة ٢/ ١٢٢ . وقد نسب الخبر في (ص) لأبي نُعيم.

(٤) في (ب) و(خ) و(د): مجاري، والمثبت من (ص) ، وهو موافق لأغلب المصادر. وفي «الحلية»: محاجر.

بل اغرقت[١] في النوم الطويل وقد دَنَتْ ... إليك أمورٌ مُفْظِعاتٌ عظائمُ
نهارك يا مغرور نومٌ وغفلةٌ ... وليلُك نومٌ والرَّدَى لك لازِمُ
يغرُّك ما يفنى وتُشغلُ بالمنى ... كما غَرَّ باللَّذاتِ في النوم حالِمُ
فخرِّق غِطا العَيْنَيْنِ[٢] إنك ناعسٌ ... وثِبْ إنَّ رَيْبَ[٣] الدهرِ ويحكَ قائمُ
ولا تجعلِ الدُّنيا قراراً ومَسْكَناً ... فتُخْصَمَ يوم الحشر حين تخاصمُ
فلا أنت في الأيقاظ يقظانُ حازمٌ ... ولا أنتَ في النُّوَّام ناجٍ فسالمُ
وتكدحُ فيما سوف تكرهُ غِبَّهُ ... كذلك في الدنيا تعيشُ البهائمُ[٤]

وهذه الأبيات لعبد الله بن عبد الأعلى الشيباني[٥].

وقال ابنُ أبي الدنيا: كان عمر يقول: مَنْ صَحِبَني فليَصْحَبْني بخمس خصال: الأولى: يدلُّني على العدل إلى ما لا أهتدي إليه. والثانية: يكون لي عوناً على الخير. والثالثة: يبلِّغُني حاجةَ مَنْ لا يستطيع إبلاغها إليّ. والرابعة: لا يغتاب عندي أحداً. والخامسة: أن يؤديَ الأمانةَ التي يحملُها منّي وإليَّ من الناس، وإلا فهو في حَرَجٍ من صحبتي[٦].

وقال رجاء بن حَيْوة: كانت لعمر درجة فيها مرقاة تتحرك، وكان كلما صعد عليها عمر ونزل ارتاع، فعمد مولاه فشدَّها بطين، فقال له عمر: اقلعه، فإني عاهدتُ الله إنْ وليتُ هذا الأمرَ أن لا أضع لَبِنةً على لَبِنة.

وقال المدائني: قدم رجل من أهل مصر على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال: إن أباك ظلمني في أرضي. قال: وأين أرضُك؟ قال: حُلْوان؛ مكان بمصر. قال: أعرفُها، ولنا فيها شركاء. ثم قام عُمر، ومشى معه إلى الحاكم، فجلس بين يديه مع خصمه،

(١) في «حلية الأولياء» ٥/ ٣٢٠، و«صفة الصفوة» ٢/ ١٢٥: أصبحت.
(٢) في (ص): غطاء العيش.
(٣) المثبت من (ص)، وفي غيرها: إن رأيتَ.
(٤) ينظر إضافة إلى ما سلف: تاريخ دمشق ٥٤/ ١٩٨، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٣٨. ولم ترد الأبيات الثلاثة قبل البيت الأخير في هذه المصادر الأربعة، ولم أقف عليها.
(٥) ذكره المرزباني في «معجم الشعراء» ص ٣٥٠ـ٣٥١ في ترجمة ابنه محمد. وينظر «لسان الميزان» ٤/ ٥٠٨.
(٦) بنحوه في «حلية الأولياء» ٥/ ٣٣٦. وينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٦٦ـ٦٧.

فقضى القاضي على عمر، فقال عمر: قد أنفقنا عليها. فقال القاضي: ذلك بما نلتُم من غَلَّتِها. فقال عمر: لو حكمتَ بغير هذا لم تلِ لي أمراً. ثم ردَّها على الرجل[١].

وقال عبد الله بنُ راشد: أتيتُ عمرَ بالطِّيب الذي كان يُصنع للخلفاء من بيت المال، فأمسك على أنفه وقال: إنما يُنتفع منه بريحه[٢].

قال: وقام إليه رجل من الخوارج فقال: أشهد أنك من الفاسقين ولا دِين لك. فنظر إليه عمر وقال: أنت عندنا شاهدُ زُور، لا نُجيز شهادتك، أردتَ أن يستفزَّني الشيطان بعزِّ السلطان، فأنالَ منك اليوم ما تنالُه مني غداً. ثم عفا عنه[٣].

وقال رجاء: كان عمر يجمع العلماء والزُّهَّاد عنده كلَّ ليلة، فيتذاكرون الموت والقيامة ويبكون كأنَّ بين أيديهم جنازة[٤].

وقال يزيد بن حوشب: ما رأيتُ أخوف لله من الحسن وعمر بن عبد العزيز، كأنَّ النارَ لم تُخلق إلا لهما[٥].

حديث المرأة القادمة عليه من العراق:

قال رجاء بن حَيْوَة: قدمت امرأةٌ من أهل العراق على عمر بن عبد العزيز، فلما صارت إلى بابه قالت: هل عليه من حاجب؟ قالوا: لا، فإنْ أحببتِ أن تلجي فَلِجي، فَدَخلَتْ وإذا بفاطمة زوجةِ عمر رضي الله عنه جالسة، فنظرَتْ في البيت، فلم ترَ فيه شيئاً، فبكت وقالت: إنما جئتُ لأَعْمُر بيتي من هذا البيت الخراب! فقالت لها فاطمة: واللهِ ما أخربَه إلا عِمارةُ بيوتِ أمثالِك.

وأقبل عمر، فدخلَ الدار، فمالَ إلى بئر هناك، فنزع دلواً فصبَّه على طين وهو ينظر إلى فاطمة، فقالت لفاطمة: استتري من هذا الطيَّان. فقالت فاطمة: ليس بطيَّان، وإنَّما هو أمير المؤمنين .فبكت المرأة، وغسل عمرُ رجليه ومال إلى مُصلَّاه، فصلَّى ما شاء الله،

---

(١) أنساب الأشراف ٧/ ١١٨ .

(٢) ينظر «حلية الأولياء» ٥/ ٣٢٦ ، وسلف نحوه أوائل ترجمته في ذكر طرف من أخباره.

(٣) بنحوه في «أنساب الأشراف» ٧/ ٨٩ .

(٤) الخبر في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ١٩٤ عن رجل عن عطاء.

(٥) المصدر السابق ٥٤/ ١٩٢ .

ثم سلَّم وقدَّم مِكْتلاً فيه عنب، وجعلَ يتخيَّر للمرأة منه، ثم قال: من أين المرأة؟ قالت: من أهل العراق، ولي خمسُ بنات كسل[1] قال: سمِّي الأولى، فسمَّتْها، ففرضَ لها، ثم الثانية، ثم الثالثة والرابعة، وهي تحمد الله، فلما سمَّت الخامسة، شكَرَتْه، فرمى بالقلم من يده وقال: كنتُ أفرضُ لهنَّ حيث كنت تُولين الحمدَ لأهله، أمَّا حيث ولَّيتني إيّاه، فمُري الأربع يواسين الخامسة. فدعت له، ودفعَ إليها نفقةً من ماله، وانصرفت.

فلما قدمت العراق جاءت بالكتاب إلى عامله عبد الحميد بن عبد الرحمن، فلما نظر في الكتاب بكى، واشتدَّ بكاؤه وقال: رحم الله صاحبَ هذا الكتاب. فبكت المرأة وولولت وقالت: ضاع تعبي. فقال لها عبد الحميد: لابأس عليك، واللهِ ما كنتُ ممَّن يطيعُه في حال حياته، ويعصيه بعد مماته. ففرضَ لبناتها ولها، وزادهنَّ.

حديث الجارية وفاطمة:

قال الهيثم: كانت لفاطمة بنتِ عبد الملك جاريةٌ ذاتُ جمال، وكان عمر رضي الله عنه معجباً بها قبل أن تُفضي إليه الخلافة، فطلبها منها وحرص، فأبت أن تدفعَها إليه وغارت منها، ولم تزل في نفس عمر.

فلما استُخلف؛ أمرت فاطمة بالجارية، فأُصْلِحَتْ وحُلِّيَتْ، فكانت حديثاً في حسنها وجمالها، ثم دخلت عليه فاطمة، فقالت: يا أمير المؤمنين، إنك كنتَ سألتَني فلانة، فأبيتُ عليك، والآن فقد طابَتْ نفسي لك بها، فدُونَكَها. فاستبانَت الفرح في وجهه، وقال: أرسلي بها إليّ. فأرسلت بها، فلمَّا دخلت عليه نظر إلى شيءٍ أعجبَه، فازدادَ بها عَجَباً وقال لها: ألقي ثوبك. فلما همَّت أن تفعل؛ قال لها: على رِسْلِكِ، أخبريني، لمن كنتِ؟ ومن أين وصلتِ إلى فاطمة؟ قالت: كنتُ لعاملٍ من عمال الكوفة، فأغرمه الحجَّاج أموالَه واستصفاه، فأُخذتُ في رقيقه، فبعثَ بي الحجاج إلى عبد الملك مع المال والرقيق، وأنا يومئذٍ صبيَّة، فوهبني عبدُ الملك لابنته فاطمة. قال:

(١) كذا في النسخ، وجاء فيها بعدها غير (ص): كسد.

فما فعل ذلك العامل؟ قالت: هلك. قال: وما ترك ولداً؟ قالت: بلى. قال: وما حالُهم؟ قالت: سيِّئة. فقال لها: شُدِّي عليك ثوبكِ.

ثم كتب إلى عامله عبد الحميد بالكوفة أنْ سَرِّحْ إليَّ فلانَ بنَ فلان على البريد. فسَرَّحه إليه، فلما دخلَ عليه قال له: ارْفَعْ إليَّ جميع ما أغرم الحجاجُ أباك. فلم يرفع شيئاً إلا دفعه إليه، ثم دفع إليه الجارية، وقال: إيَّاك وإيَّاها، فإنها حديثةُ السنّ[١]، ولعل أباك قد ألمَّ بها. فقال الغلام: هي لك يا أمير المؤمنين. فقال: لا حاجة لي فيها. قال: فابْتَعْها مني. قال: لستُ إذَنْ ممَّن ينهى النفس عن الهوى ويأتيه. فقالت الجارية: فأين مَوْجِدتُك بي يا أمير المؤمنين؟! فقال: إنها لعلى حالها، ولقد ازدادت. فأخذَهَا الغلام ومضى، ولم تزل الجارية في نفس عمر رحمه الله حتى مات[٢].

أنشد العبَّاس بن علي الهاشمي:

وإني وصبري عنك والشوقُ نارُهُ ... تَوَقَّدُ في الأحشاء أيَّ تَوَقُّدِ
لكالحائم المَهْنُوع رُدَّ شرابهُ[٣] ... وسَطْبرٍ للقتلِ من كفِّ معتدي
وراكبِ هَوْلٍ وهْو يعلمُ ما الذي ... يجيءُ به في عُقْبِه اليومَ أو غَدِ
وهل هو إلا أن أموتَ صَبابةً ... وشوقاً ولم يغلب هواك تجلُّدي[٤]

ذكر معاتبة بني أمية إيَّاه لما ردَّ المظالم:

قال هشام بن محمد: اجتمعَ ببابه أعيانُ بني أمية، ومنهم مَسْلَمة بنُ عبد الملك، ومَسْلَمة بن سعيد بن العاص، فقال مسلمة بنُ سعيد لمسلمة بن عبد الملك: يا أبا سعيد، ما تقول في هذا الأمر الذي نحن فيه؟ قال: تلجؤون إلى الصبر إلى أن تنقضيَ

(١) كذا في النسخ. وفي «اعتلال القلوب» للخرائطي ص ٦٢ : فإنك حديث السنّ. وهو الأشبه.
(٢) اعتلال القلوب ص٦١ـ٦٢. وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»٥٤/ ١٥٨ـ١٥٩ مختصراً. وينظر «البداية والنهاية» ١٢/ ٦٩٦ـ٦٩٧ .
(٣) كذا في (ب) و(خ) و(د)، والمهنوع: من الهَنَع وهو انحناء القامة، أي: عُطف بعضُه على بعض. وفي «اعتلال القلوب» ص٦٣: الممنوعِ بَرْدَ شرابِهِ. وهو الأشبه.
(٤) اعتلال القلوب ص ٦٣ .

مدَّةُ هذا الرجل الذي بعثه الله عقوبة لكم بذنوبكم. فقال: لقد أجَّلتنا إلى أمد بعيد تفنى دونه أعمارُنا وأموالُنا، قوموا بنا ندخلْ عليه.

وأخبره الحاجب بمكانهم. فقال: قد علمتُ الأمر الذي اجتمعوا لأجله، أدخِلْ عليَّ زعيمَهم، فواللهِ لا انصرفوا إلا بما يُسَوِّدُ وجوهَهم.

فدخل مسلمة بن سعيد، فسلَّم وجلس، وأخذ يُثني عليه، فقال له: دع هذا، وخُذْ فيما جئتَ له. فقال: إنَّ الأمر قد أفضى بأهل بيتك إلى حال يرثي لهم منه العدوّ. فقال: هيهات! تلك أَثَرَةٌ حملَها المعتدون على كاهل الدين، فأوقروه، واللهِ ما ازدَدْتُ لهم نَظَراً إلا زاد البلاء عليهم ثقلاً.

قال مسلمة: فادفَعْ إلينا صكاك قطائعنا من خلائفنا. فقال عمر ﷺ: أذْكَرْتَني الطعن، وكنتُ ناسياً، يا جارية، هاتِ صندوق السجلَّات. فجاءت بصندوق، ففتحَه، وأخرج السجلَّات، فجعل يقطِّعُها سجلًّا سجلًّا. فقال له مسلمة: واللهِ لا نصبرُ على هذا. فقال: بلى واللهِ لتصبرَنَّ غير مكرم في دنيا، ولا مأجور في دين. فقال مسلمة: أراحنا الله منك. فقال له عمر ﷺ: لا ضير، هلمَّ يدي بيدك حتى نوافيَ الموسم، فأجعلُها للمسلمين يختارون لأنفسهم ما شاؤوا. فقال مسلمة: واللهِ ما يمنعُني ما يسوءني بأهل بيتي أن أقولَ فيك الحقَّ، واللهِ ما يعدلون بها عنك. فقال له: إنَّ للهِ في بني مروان ذَبْحاً، ووَدِدْتُ أنه كان على يدي.

فلما بلغَ قومَه ذلك؛ كَفُّوا عنه لما يعلمون من صرامته[1].

ذكر شيء من كلامه:

قال أبو سريع الشامي: زار عمر بن عبد العزيز قبور آبائه، ثم رجع باكياً، فقيل له: ما الذي أبكاك؟ فقال: خاطبني التراب، فقال: ألا تسألني عن ما فعلتُ؟ قال: قلتُ: ما صنعتَ؟ قال: فَصَلْتُ الكفَّين عن الساعدين والقدمين عن الساقين، وفعلتُ وفعلتُ. ثم قال: ألا أدلُّك على ثوب لا يَبْلَى؟ قلت: بلى. قال: التقوى[2].

---

(١) تاريخ دمشق ٦٧/ ١٤٦ـ١٤٧ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة مسلمة بن سعيد) دون قوله آخره: فقال له إن لله في بني مروان ذبحاً...إلخ. وقد ورد نحوه في خبر آخر في «أنساب الأشراف» ٧/ ٧٠.

(٢) ينظر: الهواتف ص٤١، وحلية الأولياء ٥/ ٢٦٤، وتاريخ دمشق ٥٤/ ١٩٠، والبداية والنهاية ١٢/ ٧٠٤.

هذا خطاب بلسان العِبْرة والموعظة والحال، لا بلسان الحقيقة والمقال.

وقال: قال عمر ﷺ لرجل من جلسائه: يا فلان، لقد أرِقْتُ الليلةَ مفكِّراً. قال: فيم؟ قال: في القبر وساكنه، إنك لو رأيتَ الميِّتَ في قبره بعد ثلاث لاستوحشتَ منه بعد طُول الأُنس، فإنك ترى الهوامَّ والصديد، مع نتن الريح، وبِلَى الأكفان بعد حُسن الهيئة. ثم شهقَ وغُشيَ عليه، فقالت فاطمة لمولاه مزاحم: أَخْرِجْ هذا الرجل عنَّا. وجعلت تصبُّ الماء على وجهه وتبكي وتقول: ليت حِيلَ بيننا وبين هذا الأمر، فواللهِ ما أصبنا خيراً منذ وقعنا فيه. فأفاق، فرآها تبكي، فقال: ما الذي بكِ؟ فقالت: ذكرتُ مصرعَك بين يدي الله، وفراقَنا لك، فذلك الذي أبكاني. فقال: حسبُكِ يا فاطمة، فقد أبلغْتِ. ثم مال فسقط، قالت: فضممتُه إلى صدري وقلت: بأبي أنتَ وأمي، ما نستطيعُ أن نكلِّمك بكلِّ ما نجدُ لك في صدورنا. فلم يزل على حاله حتى حضرت الصلاة، فناديتُه، فانتبَهَ فَزِعاً[1].

ذكر جماعة من الوافدين عليه من الشعراء وغيرهم:

لما استُخلف عمرُ بنُ عبد العزيز ﷺ؛ وفدَ عليه الشعراء، فأقاموا ببابه مدَّة لا يصلون إليه، وكانوا جماعة؛ منهم جرير، والفرزدق، وعمرُ بن عبد الله بن أبي ربيعة[2]، والأخطل، والأحوص، وكُثيّر عَزَّة، ونُصَيْب، وغيرهم.

فمرَّ بهم عَوْنُ بنُ عبد الله بن عُتبة بن مسعود الهُذَليّ، فناداه جرير فقال:

يا أيُّها الرجلُ المُرْخِي عِمَامَتَهُ ... هذا زمانُك إني قد مضى زمني
أَبْلِغْ خليفتَنا إنْ كنتَ لاقِيَهُ ... أنِّي لَدَى البابِ كالمصفود في قَرَنِ
لا تنسَ حاجتَنا لَقِيتَ مغفرةً ... قد طالَ مُكْثِيَ عن أهلي وعن وطني

قال كُثَيِّر[3]: قدمتُ أنا والأحوص ونُصَيْب على عمر، وكلُّ واحدٍ منَّا يُدِلُّ بسابقته عندَه، فكان أوَّلَ مَنْ لقِينا مَسْلَمةُ بنُ عبد الملك، وهو يومئذ فتى العرب، وكلٌّ منَّا ينظر في عِطْفَيْه، لا يظنُّ أنه شريكُ الخليفة، فأنزَلَنا مسلمةُ عنده، وأحسنَ ضيافتنا، وأكرمَ

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٦٨ـ٢٦٩، وتاريخ دمشق ٥٤/ ١٩٠، والبداية والنهاية ١٢/ ٧٠٤ـ٧٠٥.

(٢) في ذكر عمر بن أبي ربيعة في هذا الخبر نظر، فقد مات سنة (٩٣) واستُخلف عمرُ بنُ عبد العزيز ﷺ سنة (٩٩).

(٣) هذا مطلع رواية أخرى غير التي قبلها، وقد جمع المصنف (أو المختصر) بينهما، لكنه وقع في ذلك تناقض فيما جرى للأحوص فيهما. ينظر: الأغاني ٩/ ٢٥٧، والعقد الفريد ٢/ ٩١، والمنتظم ٧/ ٣٥-٤٢ (وفيه الروايتان).

مثوانا، ثم قال: أما علمتُم أنَّ إمامَكم لا يُعطي الشعراء شيئاً؟ فقلنا: قد جئنا الآن، فافتح لنا في هذا وجهاً.

فأقمنا ببابه أربعة أشهر، ومسلمةُ يستأذنُ لنا، ولا يأذن.

قال: فأتيتُ يومَ جمعة وعمرُ يخطب، فقال في خطبته: لكلِّ سفرٍ زادٌ لا مَحالة، فتزوَّدُوا من الدنيا إلى الآخرة، وكُونوا كمن عاينَ ما أعدَّ اللهُ [له] من ثوابه وعقابه، فعملَ طلباً لهذا وخوفاً من هذا، ولا يطولَنَّ عليكم الأمَدُ فتقسُوَ قلوبُكم، وتنقادُوا لعدوِّكم، أعوذُ بالله أن آمرَكم بما أنهى عنه نفسي، فتخسرَ سَفْقَتي[1]، فارتجَّ المسجدُ بالبكاء، وبكى عمر حتى بلَّ ثوبَه.

قال كُثَيِّر: فجئتُ إلى أصحابي وقلتُ: جدِّدُوا له من الشِّعر غيرَ ما أعدَدْتُم، فليس الرجل بدنياوي.

قال كُثَيِّر: ثم استأذنَ لنا مسلمةُ وقال: يا أمير المؤمنين، الشعراء ببابك منذ مدَّة[2]، وإن سهامَهم مسمومة، وقد مُدح رسولُ الله ﷺ بالشِّعر، وأجاز عليه، فأعطى كعبَ بنَ زهير حُلَّة، وأعطى العبَّاس بن مِرْداس ما قطعَ به لسانَه. فقال عمر: مَنْ بالباب منهم؟ فقال: عمر بنُ عبد الله بن أبي ربيعة. فقال: أليس هو القائل:

ثم نَبَّهْتُها فهَبَّتْ كَعاباً ... طَفْلَةً ما تُبينُ رَجْعَ الكلامِ
ساعةً ثم إنَّها بعدُ قالَتْ ... وَيْلَتَا قد عَجِلْتَ يا ابنَ الكرامِ
أعلى غير موعدٍ جئتَ تسعى ... تتخطَّى إليَّ رُوسَ النِّيامِ

فلو كان عدوُّ الله إذ فَجَر؛ سترَ على نفسه لكان، واللهِ لا دخلَ عليَّ أبداً.

ثم قال: مَنْ بالباب غيرُه؟ قال: هُمام بن غالب ـ يعني الفرزدق ـ فقال: أليس هو القائل:

هما دَلَّتاني من ثمانين قامةً ... كما انقضَّ بازٍ أقتَمُ الريشِ كاسِرُهْ
فلما استَوَتْ رِجْلايَ بالأرض قالتا ... أحيٌّ فيُرْجى أم قتيل نُحاذِرُهْ

---

(١) في «الأغاني» ٩/ ٢٥٧ : صَفْقَتي (تقال بالسين أو الصاد) أي: بيعتي.

(٢) القائل هو عديّ بن أرطاة، وليس مسلمة، وهذا الكلام حتى نهاية ذكر دخول جرير على عمر رضي الله عنه من رواية غير التي قبلها، وقد جمع بينهما المصنف كما ذكرتُ قبل تعليق، وتنظر الروايتان في «المنتظم» ٧/ ٣٥-٤٢ .

لا والله، لا وطىءَ لي بساطاً أبداً. مَنْ بالباب غيره؟ قال: الأخطل. قال: أليس هو القائل:

ولستُ بصائمٍ رمضانَ طَوْعاً ... ولستُ بآكلٍ لحم الأضاحي
ولستُ بزائرٍ بيتاً بعيداً ... بمكةَ أبتغي فيه صلاحي
ولستُ بقائمٍ كالعيرِ أدعو ... قُبيلَ الصُّبح حيَّ على الفلاحِ
ولكنِّي سأشربُها شَمولاً ... وأسكَرُ عند مُنْبَلَجِ الصباحِ

واللهِ لا يدخلُ عليَّ وهو كافرٌ أبداً. ثم قال: مَنْ بالباب غيره؟ قال: الأحوص. قال: أليس هو القائل:

اللهُ بيني وبين سيِّدها ... يَفِرُّ منِّي بها وأتَّبِعُهْ

لا يدخل عليَّ.

ثم قال: مَنْ بالباب غيره؟ قال: جميل بن معمر. قال: أليس هو القائل:

أيا ليتنا نحيا جميعاً وإنْ أمُتْ ... يوافقُ في[1] الموتى ضريحي ضريحُها
فما أنا في طُول الحياة براغبٍ ... إذا قيل قد سُوِّي عليها صفيحُها

فلو كان عدوُّ الله تمنَّى لقاها في الدنيا لعلَّ يعملُ بعدَها صالحاً لكان، واللهِ لا يدخلُ عليَّ أبداً.

ثم قال: مَن بالباب غيره؟ قال: جرير بن عطيَّة. قال: أليس هو القائل:

طرقَتْكَ صائدةُ القلوبِ فليس ذا ... وقتُ الزيارة فارْجِعي بسلامِ

إن كان ولابدَّ فليدخُلْ هو.

فدخل جرير وهو يقول:

إن الذي بعثَ النبيَّ محمداً ... جعلَ الخِلافةَ في الإمامِ العادلِ
وسعَ الخلائقَ عدلُه ووفاؤُهُ ... حتى ارْعَوَى وأقامَ مَيْلَ المائلِ
ولقد منعتَ بما صنعتَ[2] تحرُّجاً ... مَكْسَ العشورِ على جسور الساحلِ
إني لآمُلُ منك خيراً عاجلاً ... والنفسُ مُولَعةٌ بحبِّ العاجلِ

(١) في «ديوان» جميل ص ٥١ : يوافي لدى.
(٢) في «ديوان» جرير ص ٣٣١ : ولقد نفعتَ بما منعتَ.

واللـهُ أنـزلَ فـي الـكـتـابِ فـريـضـةً لابـنِ الـسـبـيـلِ ولـلـفـقـيـرِ الـعـائـلِ

ثم وقف بين يديه، فقال له عمر ﷺ: يا جرير، اتَّقِ الله، ولا تَقُلْ إلا حقّاً. فقال:

أَأَذْكُرُ الجَهْدَ والبلوى التي شملَتْ أم أكتفي بالذي أُنبئتَ من خَبَرِي

كم باليمامة من شعثاءَ أرملةٍ ومن يتيمٍ ضعيفِ الصوتِ والبصرِ

فمَن يُرَجَّى له من بعدِ والدِه[1] كالفرخ في العُشِّ لم ينهض ولم يَطِرِ

فبكى عمر بن عبد العزيز حتى بلَّ الأرض بدموعه. ثم قال جرير:

يدعوك دعوةَ ملهوفٍ كأنَّ به خَبْلاً من الخوفِ أو شيئاً من الشَّررِ[2]

ما زِلْتُ بعدَك في هَمٍّ يؤرِّقُني قد طالَ في الحيِّ[3] إصعادي ومنحدري

الخيرُ ما دُمْتَ حيّاً لا يفارقُنا بُوركتَ يا عُمرَ الخيراتِ من عُمرِ

زانَ[4] الخلافةَ إذْ كانَتْ له قَدَراً كما أَتَى ربَّه موسى على قَدَرِ

هذي الأراملُ قد قَضَيْتَ حاجتَها فمن لحاجةِ هذا الأرملِ الذكَرِ

فقال له عمر: يا جرير، إني لا أرى لك حقّاً ههنا، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الآية[التوبة: ٦٠] فمن أيّ الأصناف أنت؟ قال: أنا ابنُ سبيلٍ منقَطَعٌ به. قال: أولستَ ضيفَ أبي سعيد[5]؟ يعني مسلمة. قال: بلى. قال: ما كنتُ أحسب أن ضيفَه يكون منقَطَعاً به، وما أرى لك حقّاً. قال: يا أمير المؤمنين إني فقير. قال: لا من أبناء المهاجرين، ولا من أولاد الأنصار، ولا من أولاد التابعين. فقال مسلمة: يا أمير المؤمنين، قد عوَّده الخلائف الإحسان، وإنَّ مثل لسانه ليُتَّقى. فقال: يا جرير، عندي عشرون ديناراً، وأربعة أثواب. فدفعها إليه، فلما خرج قال له الشعراء: ما وراءَك؟ قال: إمام يعطي الفقراء، ويمنع الشعراء[6].

---

(١) بدل هذا الشطر في «الديوان» ص ٢١١ ، و«العقد الفريد» ٢/ ٩٥ : ممَّن يعدُّك تكفي فَقْدَ والدِهِ.

(٢) في الديوان»: خَبْلاً من الجنِّ أو خبلاً من النَّشَرِ.

(٣) في «الديوان»: مازلتُ بعدك في دار تعَرَّقني قد عيَّ بالحيِّ. . .

(٤) في «الديوان» ص ٢١١ ، و«العقد الفريد» ٢/ ٩٦ ، و«مختصر تاريخ دمشق» ٦/ ٤٨ : نال.

(٥) في (ب) و(خ) و(د) (والكلام منها): أبي شاكر. وهو خطأ.. وينظر «الأغاني» ٩/ ٢٥٨ .

(٦) هنا تنتهي إحدى روايتي الخبر، وما بعده تتمة الرواية الأخرى، وقد جمع المصنف بينهما، وقد سلف الكلام عليه.

ثم قال عمر: مَنْ بالباب؟ قال مسلمة: كُثيِّر. قال: فليدخل. فلما دخل سلَّم عليه بالخلافة وقال: يا أمير المؤمنين طال الثَّواء، وقلَّت الفائدة[١]، وتحدَّثت وفودُ العربِ بجفائك إيَّانا. فقال له عمر ﷺ: يا كُثيِّر، اتَّقِ الله، ولا تقلْ إلا حقّاً.

فقال:

وَلِيتَ فلم تَشْتُمْ عليّاً ولم تُخِفْ ... بريئاً ولم تسمع مقالةَ مجرمِ
تكلَّمتَ بالحقِّ المبين وإنَّما ... تَبَيَّنُ آياتُ الهدى بالتكلُّمِ
وقلتَ فصَدَّقْتَ الذي قلتَ بالذي ... فعلتَ فأمسى رايشاً كلُّ مسلمِ
ألا إنَّما يكفي الفتى بعد بُرْهَةٍ ... من الأَمَدِ الباقي ثِقافُ المُقَوِّمِ
وقد لَبِسَتْ لُبْسَ الملوك بِبابِها ... وأبدَتْ لك الدُّنيا[٢] بكفٍّ ومِعْصَمِ
وتُومِضُ أحياناً بعينٍ مريضةٍ ... وتَبْسِمُ عن مثلِ الجُمانِ المُنَظَّمِ
فأعرضْتَ عنها مشمئزّاً كأنَّما ... سقَتْكَ مَدُوفاً[٣] من سِمامٍ وعلقمِ
فما زِلْتَ سَبَّاقاً[٤] إلى كلِّ غايةٍ ... صعدت بها أعلى البناء بسلَّمِ[٥]
تركتَ الذي يفنى وإنْ كان مُونِقاً ... وآثرتَ ما يبقى برأيٍ مصمِّمِ
فما بينَ شرقِ الأرضِ والغربِ كلِّها ... منادٍ ينادي من فصيحٍ وأعجمِ
يقولُ أميرَ المؤمنين ظلمتَني ... بأخذٍ لدينارٍ ولا أخْذِ درهمِ
فلو يستطيع المسلمون لقسَّموا[٦] ... لك الشطر من أعمارهم غير نُدَّمِ
فعشتَ لنا ما حجَّ للهِ راكبٌ ... مُغِذٌّ مُطيفٌ بالمقام وزَمْزَمِ
فأرْبِحْ بها من صفقةٍ لمبايعٍ ... وأعْظِمْ بها أعْظِم بها ثم أعْظِمِ

ثم قال: مَنْ بالباب؟ فقال: الأحوص. فأَذِنَ له، فدخل فقال[٧]:

---

(١) في (ب): العائدة.

(٢) في «ديوان» كُثيِّر ص ٣٤٤: وقد لبست لبس الهُلُوك ثيابها تراءى لك الدنيا... وينظر «الأغاني» ٩/ ٢٥٨.

(٣) أي: مخلوطاً.

(٤) في «الديوان» ص ٣٤٥: توَّاقاً.

(٥) في «الديوان»: بلغتَ بها أعلى البناء المقدَّم.

(٦) في «الأغاني» ٩/ ٢٥٩، و«الديوان» ص ٣٤٦: تقسَّموا. وينظر «العقد الفريد» ٢/ ٨٩.

(٧) سلف أن عمر ﷺ لم يأذن للأحوص بالدخول عليه. ووقع هذا التناقض بسبب جمع روايتين للخبر كما سلف الكلام عليه.

وما الشعرُ إلا خطبةٌ من مؤلِّفٍ ... لمنطقِ حقٍّ أو لمنطق باطلِ[١]
فلا تقبلَنْ إلا الذي وافق الرِّضى ... ولا تَرْجِعَنَّا كالنساء الأرامل
ولولا الذي قد عَوَّدَتْنَا خلائفٌ ... غطاريفُ كانوا كالليوث البواسلِ[٢]
لَمَا وَخَدَتْ شهراً بِرَحْليَ جَسْرةٌ[٣] ... تَقُلُّ متونَ البِيدِ بينَ الرَّواحلِ
ولكنْ رَجَوْنا منك مثلَ الذي به ... صُرِفْنا قديماً من ذَوِيك الأفاضلِ
رأيناك لم تَعْدِلْ عن الحقِّ يَمْنَةً ... ولا يَسْرَةً فِعْلَ الظَّلُومِ المُخاتِلِ
ولكن أخذتَ القصدَ جَهْدَك كلَّه ... تقومُ مقامَ[٤] الصالحين الأوائلِ
فإن لم يكن للشعر عندك موضعٌ ... وإن كان مثلَ الدُّرِّ من قول قائلِ
فإنَّ لنا قربى ومحضَ مَودَّةٍ ... وميراثَ آباءٍ مَشَوْا بالمَناصلِ
وذادُوا عدوَّ السِّلْمِ عن عُقْرِ دارِهم ... فأرْسَوْا عمودَ الدينِ بعد التمايلِ
فقبلَكَ ما أعطى الهُنَيْدةَ جِلَّةٌ[٥] ... على الشعر كعباً[٦] من سَدِيس وبازلِ[٧]
رسولُ الإلهِ المصطفى بنبوَّةٍ ... عليه سلامٌ بالضُّحى والأصائلِ
وكلُّ الذي عَدَّدْتُ[٨] يكفيك بعضُهُ ... وقُلُّكَ[٩] خيرٌ من بُحورِ السوائلِ[١٠]

فقال له عمر رضي الله عنه: إنَّ اللهَ يسألُك عمَّا قلتَ.

---

(١) في «العقد الفريد» و«الأغاني» ٩/ ٢٥٩ : بمنطق حقّ أو بمنطقِ باطلِ.

(٢) في (ب) و(خ) و(د) (والكلام منها): البوازل. والمثبت من المصادر السابقة إضافة إلى «الشعر والشعراء» ١/ ٥٠٧ .

(٣) وَخَدَتْ، أي: أسرعت ووسَّعت الخطو. والجَسْرة: العظيمة من الإبل. ووقع في «الشعر والشعراء»: رَسْلَةٌ، وفي «العقد الفريد» ٢/ ٩٠ : شِمِلَّةٌ. والمعنى متقارب.

(٤) في «العقد» و«الأغاني»: وتفقو مثال. وفي «الشعر والشعراء»: تقدُّ مثال.

(٥) الهُنَيْدة: المئة من الإبل، والجِلَّة: المَسَانُّ منها.

(٦) يعني كعب بن مالك. ووقع في (ب) و(خ) و(د) (والكلام منها): قدما(؟) والمثبت من المصادر.

(٧) السَّدِيس من الإبل: ما دخل في الثامنة. والبازل: البعير الذي طلع نابُه وذلك في السنة الثامنة أو التاسعة.

(٨) في (ب) و(خ) و(د) (والكلام منها): أوعدت(؟) والمثبت من «الشعر والشعراء» ١/ ٥٠٧ ، و«الأغاني» ٩/ ٢٦٠ .

(٩) أي: القليل منك.

(١٠) في «الشعر والشعراء»: بُحورِ سوائلِ.

ودخل عليه نُصَيْب، وكنيتُه أبو مِحْجَن، وهو مولى عبد العزيز بن مروان، فقال له: يا أمير المؤمنين، قد عرفتَ انقطاعي إلى أبيك. ثم استأذنَه في الإنشاد، فلم يأذن، فغضب، فأمره باللحاق بدابِق[١] للغزو، ثم قال لمولاه مُزاحم: ما عندك؟ ما غلَّتي بالحجاز؟ قال: خمسون درهماً. قال: ادفَعْها إليه. فقال نُصيب: إني قد علفتُ دابَّتي بأكثرَ من هذا! فقال: أعْطِهِ ثيابَ الجُمعة. فأعطاه إيَّاها[٢].

قال الهيثم: ولما أنشد الشعراء، قال لهم: واللهِ ما عندي ما أُعطيكم، فانتظِرُوا عطائي. فلما خرج؛ أعطى كلَّ واحد منهم ثلاث مئة درهم، وأمر لنُصيب بمئة وخمسين.

قال الأحوص: فواللهِ ما رأيتُ عطاءً أكثر بركةً منها. فاشتريتُ بها وصيفةً، فبعتُها بألف دينار[٣].

وقال دُكين الشاعر: مدحتُ عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة، فأمر لي بخمس عشرة ناقةً كرائمَ، فقَدِمَتْ رُفْقَةٌ من مصر، فسألتُهم الصحبة، فأتيتُه فودَّعتُه، فقال: يا دُكين، إنَّ لي نفساً توَّاقة، فإنْ صِرْتُ إلى غير ما أنا فيه فائْتِني ولك الإحسان. قال: وكان عنده شيخان لا أعرفُهما، فقلت لأحدهما: مَنْ أنتَ؟ قال: سالم بن عبد الله بن عُمر، وقال الآخر: أنا أبو يحيى مولى الأمير. قال: وخرجتُ إلى مصر بالنُّوق، فجعل الله فيهنَّ البركة حتى اقتنيتُ منهنَّ الإبل والعبيد.

فأنا ذات يوم بصحراء بَلْخ[٤]؛ إذا بِناعٍ يَنْعَى سليمان بن عبد الملك، فقلت: ومَنْ قام بعدَه؟ قالوا: عُمر. فتوجَّهتُ نحوه، فلقِيَني جرير الشاعر مقبلاً، فقلت: من أين أقبلت؟ قال: من عند من يعطي الفقراء، ويمنع الشعراء، فانطلقت إلى خُناصرة[٥]، وإذا به في عرصة الدار، وقد أحاط به الناس، فلم أخلص إليه، فناديت:

---

(١) قرية على أربعة فراسخ من حلب.

(٢) ينظر إضافة إلى ما سبق: «تاريخ دمشق» ١٧/ ٥٥٦ (مصورة دار البشير ـ ترجمة نُصيب).

(٣) الأغاني ٩/ ٢٦٠.

(٤) في «الأغاني» ٩/ ٢٦١: فَلْج.

(٥) بُليدة من أعمال حلب تحاذي قِنَّسرين. معجم البلدان ٢/ ٣٩٠.

يا عُمر الخيراتِ والمكارمِ وعُمرَ الدَّسائعِ[1] العظائمِ
إني امرؤٌ من قَطَن بنِ دارمِ أطلبُ دَيْني من أخي مَكارِمِ
شهادتي واللهُ خيرُ عالمِ عند أبي يحيى وعند سالمِ

فقام أبو يحيى فقال: يا أمير المؤمنين، لهذا البدويّ عندي شهادةٌ. فقال عُمر: أعرفُها. ثم قال: يا دُكين، ادْنُ منّي. فدنوتُ منه فقال: أنا كما قلتُ لك، لي نفسٌ توَّاقة لم تزل تتوق إلى الإمارة حتى نلتُها، فتاقَتْ إلى غاية ما في الدنيا، وهي الخلافة، وها هي تتوق إلى الآخرة.

ثم قال: والله ما رزأتُ من أموال المسلمين شيئاً، وما عندي إلا هذه الألف درهم، فخُذْها. فأخذتُها، فبارك الله لي فيها.

وأنشد عمر رضي الله عنه يوماً قول الأحوص:

سيبقى لها في مضمر القلب والحَشَا[2]

فقال: قاتله الله ما أغفله عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾[الطارق: ٩].

ونفى الفرزدق من مسجد رسول الله ﷺ وقال: أيُنْشِدُ الهجوَ بحضرة رسول الله ﷺ؟!

وقال أبو سريع الشامي: قدم وفد من أهل العراق لما استخلف عمر وفيهم غلام فتكلَّم، فقال عمر: الكبيرَ الكبيرَ.فقال: يا أمير المؤمنين، لو كان الأمرُ بالكِبَر؛ لكان في هذه الأمة من هو أكبر سنّاً منك، وإنَّما المرءُ بأصغَرَيْهِ قلبِه ولسانِه. قال: صدقت، تكلَّم. قال: نحن وفدُ الشكر، لا وفدُ الرَّهبة والرغبة، أما الرغبة فقد أتَتْ إلينا منك في بلادنا، وأما الرهبة فقد أمنَّا بعَدْلِك من جَوْرك، فالحمد لله الذي منَّ علينا بك. فقال عمر: يا غلام، عِظْني وأوْجِزْ. فقال: إن أناساً غرَّهم حلمُ الله عنهم، وحُسنُ الثناء عليهم، وطولُ آمالهم، فلا يغرَّنَّك ذلك فتزلَّ قدمُك[3].

---

(١) جمع دَسِيعة، وهي العطيَّة.

(٢) وعجزه: سريرةُ حبٍّ يوم تُبلى السرائر. والخبر بنحوه في «أنساب الأشراف» ٧/ ١٤٥ .

(٣) مروج الذهب ٥/ ٤٢٧ـ٤٢٨ ، وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٧/ ٧٤ .

وأنشد عمر:

تَعلَّمْ فليسَ المرءُ يُولَدُ عالماً ... وليس أخو علمٍ كمن هو جاهلُ
وإن كبيرَ القومِ لا عِلْمَ عندَهُ ... صغيرٌ[1] إذا التفَّتْ عليه المحافلُ[2]

وقال: وفد خالد بن صفوان بن الأهتم على عمر رضي الله عنه، فقال: يا ابنَ الأهتم، عِظْني وأَوجِزْ. وكان عمر على سرير، فقال خالد: إن أقواماً غرَّهم سترُ الله عليهم، وفتنَهم حسنُ الثناء، فلا يغلبنَّ جهلُ غيرك بك علمَك بنفسك، وإنه ليس أحدٌ من آبائك دون آدم إلا وقد ذاق الموت. فجعل عمر يبكي وابن الأهتم يعظُه، فنزل عمر من سريره، وجلس على الأرض بين يديه وابن الأهتم يقول: وأنت يا عُمر من أولاد الملوك الذين غُذُوا بالنعيم لا يعرفون غيره، وعمر يبكي وقد جثا على ركبتيه وهو يقول: يا ابنَ الأهتم، هيه هيه. فلم يزل يعظه حتى غُشِيَ عليه[3].

وقال: قدم أبو حازم المدني على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فلم يعرفه، وعرفَه عُمر، فناداه: يا أبا حازم، ادْنُ منّي. قال أبو حازم: فدنوتُ منه، فقال: ما أراك تعرفني؟! فقلت: بلى، أنت أمير المؤمنين. قال: أجل. فقلت: ألم تكن عندنا أميرَ المدينة؟! قال: بلى. قلت: كان مركبُك وَطِيّاً، وثوبُك نقيّاً، ووجهُك بهيّاً، وطعامُك شهيّاً، وقصرك مَشِيداً، وخدمُك كثيراً؟! فما الذي غيَّرَك وقد صرتَ أمير المؤمنين؟! [قال:] فبكى وقال: يا أبا حازم، فكيف لو رأيتَني في قبري بعد ثلاث وقد سالَتْ حدقتاي على وجنتيّ، وجفَّ لساني، وانشقَّ بطني، وجالت الديدان في جسدي لكنت أشدَّ إنكاراً! أعِدْ عليَّ الحديث الذي حدثتني عن أبي هريرة بالمدينة. فقلت: حدثني أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بين أيديكم عَقَبةً كؤوداً مضرَّسة، لا يجوزُها إلا كلُّ ضامر مهزول» [قال] فبكى طويلاً، ثم قال: أما ينبغي لي أن أُضَمِّرَ نفسي لتلك العقبة لعلِّي أنجو منها، وما أظنني بناجٍ.

---

(١) في النسخ الخطية غير (ص) (فالكلام ليس فيها): صغيراً وأثبتُّ اللفظة على الجادَّة. وينظر «مروج الذهب» ٥/ ٤٢٨، و«الحماسة البصرية» ٢/ ٧٦، و«المستطرف» ١/ ١٠٧.

(٢) الخبر في «مروج الذهب» ٥/ ٤٢٧ـ٤٢٨، وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٧/ ٧٤.

(٣) ينظر «تاريخ دمشق» ٥/ ٤٦٣ـ٤٦٤ (مصورة دار البشير ـ ترجمة خالد بن صفوان بن الأهتم). ومن قوله: ذكر جماعة من الوافدين عليه من الشعراء وغيرهم ... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

ثم غفا وتصبَّبَ عرقاً، وبكى في نومه بكاءً طويلاً حتى علا نحيبُه، ثم تبسَّم واستيقظ، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما هذا البكاء والتبسُّم؟! فقال: إني أغفَيْتُ، فرأيتُ في منامي كأنَّ القيامةَ قد قامت والناس مئة وعشرون صفاً، أمَّةُ محمد ﷺ منها ثمانون صفاً ينتظرون الحساب، وإذا بمنادٍ ينادي: أين ابنُ أبي قُحافة؟ فجيء به، فحُوسب حساباً يسيراً، ثم أُمر به إلى ذات اليمين، ثم جيء بعمر وعثمان وعلي، ففُعل بهم كذلك، ثم نودي: أين عُمر بن عبد العزيز؟ فجيء بي، فُحوسبتُ على القليل والكثير والفتيل والنقير، وغُفر لي وأُمر بي ذات اليمين، فبكَيْتُ خوفاً، وتبسَّمتُ فرحاً، ومررتُ في طريقي بجيفة، فحركتُها برجلي وقلت: من أنت؟ فقال: الحجَّاج بنُ يوسف الثقفيّ. قلت: ما فعل الله بك؟ قال: قدمتُ عليه، فقتلني بكل قَتْلةٍ قتلتُ قَتْلَةً، وبقتلة سعيد بنِ جُبير سبعين قتلةً، فمن أنت؟ قلت: عمر بن عبد العزيز. قال: فما فعل الله بك؟ قلت: غُفر لي وللخلفاء الأربعة. قال: فالباقون؟ قلت: لا علم لي بهم. ثم قلت: ما تنتظر أنت ههنا؟ قال: أنتظرُ ما ينتظر الموحِّدون، إمَّا إلى الجنَّة وإمَّا إلى النار.

قال أبو حازم: فعاهدتُ الله أن لا أقطعَ لأحدٍ من أهل القبلة بجنَّةٍ ولا نار[1].

قال عمر لأبي حازم: ارفَعْ إليَّ حوائجَك. فقال: قد رفعتُها إلى من لا تُختزَلُ الحوائج دونه، فما أتاني منها قنعتُ، وما منعني منها رضيتُ، وإني نظرت في هذا الأمر فإذا هو شيئان؛ أحدهما لي، والآخر لغيري، فأمَّا ما كان لي فلو احتلتُ بكلِّ حيلة ما وصلتُ إليه قبل أوانه الذي قدِّر لي، وأمَّا الذي لغيري فلا أطمع فيه، وكما مُنع غيري من رزقي؛ فكذا مُنعتُ من رزق غيري، فعلام أُتعبُ نفسي[2]؟!

---

(١) بعدها في (ص) ما صورتُه: قال بعض العلماء: وهذا عهد وجب على أبي حازم نقضه، فإنه لم يكن أورع من الحسن البصري. وينظر الخبر بتمامه ومختصراً في: «حلية الأولياء»٥/ ٢٩٩ـ٣٠٢، و«تاريخ دمشق» ٧/ ٤٥٦ (مصورة دار البشير ـ ترجمة سلمة بن دينار)، وذكره أيضاً آخر الكتاب ١٩/ ٢٤ (ترجمة أبي حازم الأسدي ولم يسمّه)، و«المنتظم» ٧/ ٤٣ـ٤٥. وورد بعض القصة بين عمر بن عبد العزيز، ومحمد ابن كعب القرظي. ينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٦١، و«أنساب الأشراف»٧/ ١١٣، و«تاريخ دمشق»٦٤/ ١٩٦ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) بنحوه في «المعرفة والتاريخ» ١/ ٦٧٩ـ٦٨٠ ، و«تاريخ دمشق» ٧/ ٤٦١ (مصورة دار البشير).

وقال سابق البربري: وفد يزيد بن أبان الرَّقاشي على عمر فقال له عمر: عِظْني. فقال: ليس بين الجنة والنار منزل. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣ـ١٤] فبكى عمر حتى سقط[١].

ويزيد الرَّقاشي من الطبقة الثالثة من التابعين، من أهل البصرة، كان قد صام ستين سنة، حتى ذبل جسمُه، وتغيَّر لونُه، وكان يبكي طول الليل ويقول: يا إخوتاه، تعالَوْا نبكي أيام الدنيا، وكان قد عطَّشَ نفسه ستين سنة، وكان لا يفطر إلا خمسة أيام[٢]، ويقول: سبقني العابدون، وقُطع بي.

وكان يتقلَّبُ على الرَّمل في اليوم الحارّ ويقول: يا يزيد من يصوم عنك بعد الموت؟ من يصلِّي عنك؟ من يسترضي ربَّك لك؟ ثم بكى حتى سقطت أشفارُ عينيه.

وكان يقول: إلهي إن كنتَ أذنتَ لأحدٍ من المحبِّين أن يصلِّيَ ويصوم في قبره، فأْذَنْ لي.

وقال ثابت البُناني: ما رأيتُ أحداً أصبرَ على طول القيام والسهر من يزيد، وكان يقول في قصصه: يا معاشر مَن القبرُ بيتُه، والموتُ موعدُه، ألا تبكون؟!

وقيل له: أما تسأم من البكاء؟! فقال: وَدِدْتُ أن أبكيَ بعد الدموع دماً، ثم الصديد، يا إخوتي، إن لم تبكُوا؛ فارحموا الباكي.

وكان ينشد:

إنَّا لَنَفْرَحُ بالأيام نقطعُها ... وكلُّ يومٍ مضى يُدني من الأَجَلِ[٣]

حدَّث عن أنس، والحسن البصريّ.

---

(١) بنحوه أطول منه في «الزهد الكبير» للبيهقي (٥٥١)، و«تاريخ دمشق» ١٨/ ٢٢٣ (مصورة دار البشير).

(٢) يعني يوم الفطر ويوم الأضحى وأيام التشريق الثلاثة. وقد روى هو الحديث فيه عن أنس بن مالك ﷺ أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٤١١٧). ووقع في (ب) و(خ) و(د) (والكلام منها): إلا بعد خمسة أيام، وهو خطأ. وينظر «حلية الأولياء» ٣/ ٥٠، و«تاريخ دمشق» ١٨/ ٢٢٨ (مصورة دار البشير ـ ترجمة يزيد الرقاشي).

(٣) ينظر «تاريخ دمشق» ١٨/ ٢٢٧ـ٢٣٢ (مصورة دار البشير)، و«صفة الصفوة» ٣/ ٢٨٩ـ٢٩٠، و«تهذيب الكمال» ٣٢/ ٧٠ـ٧٤. ولعل أبا العتاهية أخذ البيت، فقد نسب الراغب الأصفهاني في «محاضرات الأدباء» ٤/ ٤٩ له: نظلُّ نفرح بالأيام نقطعها...إلخ، وأورده محقق «الديوان» في «تكملته» ص ٢١٨ عن الراغب.

وروى عنه الحسن أيضاً، وقتادة، وأبو الزِّناد، والأعمش، وحمَّاد بن سَلَمة، والرَّبيع بن صَبِيح، والأوزاعي، وغيرُهم.

وقد تكلَّموا فيه، فقال ابن سَعْد: كان قَدَرِيّاً ضعيفاً. وقال الإمام أحمد بنُ حنبل ﷺ والبخاري: كان شعبة يتكلَّم فيه. وقال أبو أحمد بن عديّ: ليزيد الرَّقاشي أحاديثُ صالحةٌ عن أنس وغيره، وأرجو أنه لابأس به لرواية الثقات عنه من البصريين والكوفيين وغيرهم.

وذكره الشيخ جمال الدين ابن الجوزيّ في «الصفوة» وأثنى عليه، وقال: شغله التعبُّد عن حفظ الحديث، فأعرضَت النَّقَلَةُ عمَّا يروي[١].

ذكر مكاتبات عمر ﷺ إلى العلماء ومكاتباتهم إليه:

قال أبو عبيد: كتب الحسن البصريّ إلى عمر: أما بعد، فإنَّ الهولَ الأعظم ومُفْظِعاتِ الأمور أمامَك لم تقطع منها شيئاً بعد، وإنه لا بدَّ لك من مشاهدة ذلك ومعاينته؛ إمَّا بالسلامة، وإمَّا بالعَطَب. والسلام[٢].

وقال رجاء بن حَيْوة: لما وليَ عمر ﷺ الخلافة كتب إلى الحسن أن يكتبَ إليه بصفات الإمام العادل، فكتب إليه الحسن: أما بعد؛ فإن الله جعلَ الإمامَ العادل قِوَامَ كلِّ مائل، وقَصْدَ كلِّ جائر، وصلاحَ كلِّ فاسد، وقرَّة عين كلِّ ضعيف[٣]، ومَفْزَعَ كلِّ ملهوف، والإمام العادل كالراعي الشفيق الذي يرتادُ لغنمه أطيبَ المراعي، ويذودُها عن مَراتع الهَلَكَة، والإمام العادل كالوالد الحاني على ولده، يسعى لهم صغاراً، ويعلِّمهم كباراً، يكسبُ لهم في حال حياته، ويدَّخرُ لهم بعد وفاته، والإمام العادل كالأمِّ البَرَّة الشفيقة على ولدها، والإمامُ العادل وصيُّ اليتامى، وخازنُ المساكين، يُربِّي صغيرَهم، ويَمُون كبيرَهم، والإمامُ العادلُ كالقلب بين الجوارح، تَصلح بصلاحه، وتفسدُ بفساده؛ فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملَّكك اللهُ كعبدٍ ائتمنه سيِّدُه

---

(١) ينظر: طبقات ابن سعد ٩/ ٢٤٤، علل أحمد ٣/ ٥٥، والتاريخ الكبير للبخاري ٨/ ٣٢٠، والكامل ٧/ ٢٧١٣، و صفة الصفوة ٣/ ٢٨٩ـ٢٩٠ .

(٢) بنحوه في «إحياء علوم الدين» ٤/ ٥٦ . وورد نحوه أيضاً ضمن كلام طويل للحسن البصري ﷺ أخرجه عنه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» ص ١٦٦ (٤٠٤).

(٣) في «العقد الثمين» ١/ ٣٤ : وقوة كلِّ ضعيف.

واستحفظَه في ماله وعيالهِ فبدَّد المال، وشَرَّدَ العِيال، وأفقر أهلَه، وضَيَّع مالَه، واعلم أنَّ الله أنزلَ الحدود ليزجر بها عن الفواحش، فكيف إذا أتاها مَنْ وَلِيَها؟! واللهُ أنزلَ القَصاصَ حياةً لعباده، فكيفَ إذا قتلهم من يقتصُّ لهم؟!

واعلم أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه يطولُ فيه ثواؤُك، ويُفارقُك أحبَّاؤك، ويُسلمونك في قعره فرداً وحيداً، تُقيم فيه إلى أن يُنفَخَ في الصُّور، ويُبعثرَ ما في القبور، ويُتحصَّلَ ما في الصدور، ثم تقوم إلى كتاب لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها[١] ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾[عبس: ٣٤ـ٣٥] وأنت الآن في المَهَل، فلا تحكم قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل في عباد الله بحكم الجاهلين[٢]، ولا تسلك سبيل الظالمين المتكبِّرين المتجبِّرين، فتبوءَ بأوزارهم مع أوزارك، وتحملَ أثقالاً مع أثقالك، ولا يغرَّنَّك الذين يتنعَّمون بما فيه بُؤْسُك، ويأكلون الطيباتِ في دنياهم بإذهاب طيِّباتِك في آخرتك، ولا تنظر على قدرك[٣] اليوم، وانظر إليه غداً وأنت مأسورٌ في حبائل الجبروت[٤]، واقفٌ بين يدي الله تعالى في مجمع الخلائق، ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[طه: ١١١].

فاجعل كتابي هذا منك بمنزلة الطبيب الذي يشفي المريض بالأدوية الكريهة لما يرجو[٥] له من العافية الشافية، فإني لم آلُ نُصحاً، ولا ادَّخَرْتُ وُسْعاً، والسلام.

كتاب آخر منه:

قال رجاء بن حَيْوة: كتبَ الحسنُ إلى عُمر: أما بعد، فإنَّ الدنيا دارُ ظَعْن، وليست بدارِ إقامة، وإنما أُخرجَ إليها آدمُ عقوبةً له، ولها في كلِّ حين صَرْعَة[٦]، تُهين مَنْ

(١) قوله: لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها؛ مقتبس من الآية (٤٩) من سورة الكهف.

(٢) عبارة «العقد الفريد» ١/ ٣٥: وأنت في مَهَل قبل حُلول الأجل وانقطاع الأمَل. لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين...

(٣) في «العقد الفريد»: قدرتك.

(٤) في «العقد الفريد»: الموت.

(٥) لعلها صواب العبارة: يسقي المريض الأدوية الكريهة لما يرجو له... وهي بنحوها في «العقد الفريد» ١/ ٣٦.

(٦) في «حلية الأولياء» ٦/ ٣١٣: قتيل، بدل: صَرْعَة.

أكرمَها، وتُذلُّ مَنْ أعزَّها، وتصرعُ مَنْ آثرَها، ولها في كل وقت قتلى، فهي كالسُّمِّ؛ يأكلُه من لا يعرفُه وفيه حتفُه، فالغِنَى فيها فقرُها، والزادُ منها تركُها، فكن فيها كالمُداوي جُرحَه، يصبرُ على مُرِّ الدواء مخافةَ طولِ البلاء، يحتمي قليلاً مخافةَ ما يكرهُ طويلاً، فأهلُ الفضل منطقُهم فيها بالصواب، ومشيُهم بالتواضع، ومَطْعَمُهم الطَّيِّبُ من الرزق، مغمضي أبصارهم عن المحارم، فلولا الآجال التي كُتبت لهم ما تقارَّت أرواحُهم في أجسادهم خوفاً من العقاب، وشوقاً إلى الثواب، عَظُمَ الخالقُ في نفوسهم، فصَغُرَ المخلوقُ في عيونهم، فإيَّاك وهذه الخادعةَ القاتلةَ التي قد تزيَّنتْ بخَدْعِها، وقتلتْ بغرورها، وخَدَعت بآمالها، فأصبحت كالعروس المجلوَّة، فالعيونُ إليها ناظرة، والقلوبُ عليها والهة، والنفوس لها عاشقة، وهي لأزواجها قاتلة، فلا الباقي بالماضي يعتبر، ولا الآخِرُ بما رأى من أفعالها مُزْدَجِر، قد أبتِ القلوبُ لها إلا حُبّاً، والنفوس لها إلا عشقاً، ومن عشق شيئاً لم يلهم غيره ولم يعقل سواه، فإيَّاك وإيَّاها، واحذرها كل الحَذَر. وذكر كلاماً طويلاً[١].

وكتب إليه أبو حازم: احذَرْ أن تلقَى محمداً ﷺ وأنتَ بتبليغ الرسالة مصدِّق، وهو عليك بسوء الخلافة شهيد.

وكتب عمر رضي الله عنه إلى عديِّ بن أرطاة عامله على البصرة في عزل من كان من العمَّال من أهل الذِّمَّة، وأن لا يستعين بهم[٢].

وقال في كتابه: إنه يجب على المسلمين أن يضعوا من أهل الشرك ما وضعَ اللهُ منهم، وأن يُنزلوهم منزلتَهم التي أنزلَهم اللهُ بها من الذُّلِّ والصَّغار، ولا يشركوهم في أماناتهم، ولا يُسَلِّطوهم[٣] على أهل الإسلام فيُذلُّونهم.

وكتب عمر رضي الله عنه إلى سليمان بن أبي كريمة، وكان غازياً: إن أحقَّ العباد بإجلال الله وخشيته مَن ابتلاه بمثل ما ابتلاني [به]، ولا أحدَ أشدُّ حساباً ولا أهونُ على الله [إن عصاه] مني حيث ابتلاني، فادْعُ اللهَ لي، فإنك في معرض خير وإجابة[٤].

---

(١) ينظر «حلية الأولياء» ٦/ ٣١٣ـ٣١٤ ، و«إحياء علوم الدين» ٣/ ٢١١ـ٢١٢ .

(٢) أنساب الأشراف ٧/ ١٠٤ .

(٣) في (ب) و(خ) و(د): ولا يشركونهم... ولا يسلطونهم. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٧/ ١٣٨ .

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٨٣ (وما بين حاصرتين منه)، وأنساب الأشراف ٧/ ١١٤ .

وكتب إلى عديِّ بن أرطاة: لا تَسِرْ في الناس بسيرة الحجَّاج، فإنه كان بلاءً وافقَ من قومٍ خطايا[١]. ولقد كان خراج العراق مئة ألف ألف درهم، فما زال ظلمه وسفكُه للدِّماء حتى صار خمسة وعشرين ألف ألف درهم[٢].

وكتب إليه والي بلدة أنَّ سُورَها قد انهدم، ويحتاجُ إلى مَرَمَّة، فكتب إليه عمر ﷺ: نَقِّ طُرُقَها من الظلم، وحَصِّنْها بالعدل، فذاك مَرَمَّتُها[٣].

وكتب محمد بن كعب القُرَظيّ إلى عمر ﷺ يعظُه، فكتب إليه عمر رضي الله عنه يشكره ويقول: أمَّا بعد، فقد بلغني كتابُك تعظني فيه وتذكِّرني بما هو حظٌّ لي وحقٌّ عليك، وقد أصبتَ بذلك أفضلَ الأجر، إن الموعظة كالصدقة، بل هي أعظمُ أجراً، وأبقى نفعاً، وأحسنُ ذكراً، وأوجبُ على المؤمن حقّاً، كلمةٌ يعظُ بها أخاه[٤] لِيزداد بها هدًى هي خيرٌ من مال يُتَصَدَّقُ به عليه؛ وإن كان به حاجةٌ إليه، فكن كالطبيب العالم المجرِّب الذي يعلم إذا وضع الدواء أين يضعُه.. في كلام طويل[٥].

وكتب إلى والٍ: أمَّا بعد، فإذا قدرتَ على عقوبة العباد، فاذْكُرْ قدرةَ الله عليك، واعفُ ما لم تكن العقوبة مفسدةً في الدِّين، فإنك بالله تَعِزُّ، وإليه ترجع[٦].

وبلغه عن جند له شيء، فكتب إليهم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء: ٨٧][٧].

وقال الفُضيل بن عياض في موعظته للرشيد: بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شُكِيَ إليه، فكتبَ إليه عمر: أمَّا بعد، فإني أُذَكِّرُك طُولَ سهر أهلِ النار مع خُلودِ الأبد، وإيَّاك أن يُنْصَرَفَ بك غداً من بين يدي الله تعالى[٨] فيكون آخرَ العهد بك، وانقطاعَ الرجاء منك،

---

(١) أنساب الأشراف ٧/ ١١٩ .

(٢) بنحوه في أنساب الأشراف ٧/ ١١٦ .

(٣) أنساب الأشراف ٧/ ٧٠ ، وحلية الأولياء ٥/ ٣٠٥ ، وتاريخ دمشق ٥٤/ ١٦٣ (طبعة مجمع دمشق).

(٤) في «جامع» ابن وهب (٣٣٦): لكلمة يعظ بها الرجل أخاه...

(٥) هو بتمامه في المصدر السالف.

(٦) أنساب الأشراف ٧/ ٩٤ ، وتاريخ دمشق ٥٤/ ١٦٤ .

(٧) تاريخ دمشق (ترجمة أبي عمرو الدمشقي).

(٨) في «حلية الأولياء» ٨/ ١٠٦ (ترجمة الفضيل): من عند الله تعالى، وفي «التوابين» ص ١٨٥: من عند الله تعالى إلى النار.

والسلام. فلما قرأ عامله الكتاب؛ طوى البلاد حتى قدم عليه، فقال له: ما الذي أقدمك؟! قال: قطعتَ قلبي بكتابك، واللهِ لا عُدْتُ إلى ولاية أبداً. فبكى هارون[١].

وقال رجاء بن حَيْوَة: ولَّى عمر ﷺ رجلاً دميماً قصيراً على الصدقات، فعدل وأحسن، فكتب إليه عمر ﷺ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾ [هود: ٣١][٢].

وبلغه عن عمال له شيء فكتب إليهم: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١][٣].

وكتب على قصة مظلوم: إن لم أُنصفك؛ فأنا الظالمُ لك[٤].

وكَتب إليه عبد الحميد عامله على الكوفة يشكو سوء طاعة أهل الكوفة، فكتب إليه عمر: لا تطلبنَّ طاعةَ مَنْ خذلَ علياً وكان إماماً مرضيّاً[٥].

وكَتب إليه في عمال خانوا، فكتب: لأنْ يَلْقَوُا[٦] الله بخياناتهم أحبُّ إليَّ من ألقاه بدمائهم.

وكَتب إلى عماله: لا تتعرَّضوا للكلأ في الجزائر وغيرها، فإنما هو شيءٌ أنبته الله، فليس أحدٌ[٧] أحقَّ به من أحد.

وكتب إليه محمد بن كعب القُرَظي: اجعل كبير المسلمين عندك أباً، وأوسطَهم أخاً، وأصغرَهم ولداً، فوقِّرْ أباك، واحترم أخاك، وتحنَّنْ على ولدك[٨].

---

(١) في (ب) و(خ) و(د) (والكلام منها): فبكى عمر. والمثبت من المصدرين السالفين، والخبر فيهما مطوَّل.

(٢) العقد الفريد ٤/ ٢٠٨ .

(٣) بنحوه في المصدر السالف.

(٤) العقد الفريد ٤/ ٢٠٩ .

(٥) المصدر السابق، وفيه أنه كتب ذلك إلى عدي بن أرطاة. وعند هذا الخبر ينتهي ما عندنا من النسخة (د).

(٦) في (ب) و(خ) (والكلام منهما): لئن يلقون. والمثبت من «سيرة عمر بن عبد العزيز» ص ٦١ والخبر فيه مطوّل.

(٧) في (ب) و(خ) (والكلام منهما): لأحد. وأثبت السياق على الجادة، ولم أقف على هذا الخبر.

(٨) بنحوه في تاريخ دمشق ٥٤/ ١٣٩ . وهو في الخبر المطوّل بين الفضيل بن عياض وهارون الرشيد في «حلية الأولياء» ٨/ ١٠٥ـ١٠٧ ، و«التوابين» ص ١٨٣ـ١٨٦ ، وسلف قطعة منه قريباً.

ذكر محبته رضي الله عنه لأهل البيت عليهم السلام:

وفدَ رُزَيْق المدنيُّ مولى عليّ عليه السلام على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إني تعلَّمتُ القرآنَ والفرائضَ والسنن، وليس لي ديوان، فقال له عمر رضي الله عنه: من أيِّ الناس أنت؟ فقال: من موالي بني هاشم. فقال: مولى مَنْ منهم؟ قال: مولى رجل من المسلمين، وكان عليٌّ رضوان الله عليه لا يُذكر بين يدي أحد من بني أمية. فقال عمر: أسألُك مولى مَن أنت وتُكاتمُني؟! فقال: أنا مولى عليِّ بنِ أبي طالب. فبكى عمر بن عبد العزيز حتى وقعت دموعُه على الأرض وقال: وأنا مولى عليِّ بن أبي طالب، حدَّثني سعيدُ بن المسيِّب عن سعد بن أبي وقاص أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي: «أنتَ مني بمنزلة هارون من موسى». ثم قال: يا مزاحم، كم نُعطي أمثالَه؟ قال: مئة درهم. قال: أعطه من مالي خمسين ديناراً لولائه لعلي. ثم قال له: اذهب إلى بلدك، فسيأتيك العطاء أسوةَ أمثالِك[1].

وروى الحافظ ابن عساكر أن عمر رضي الله عنه لمَّا وليَ الخلافة استوفد محمد بنَ علي الباقر، فأقام عنده، فكان يستشيرُه، ويصدرُ عن روايته[2]، فلما أراد محمد أن يرجع إلى المدينة مشى عمر إليه، وجلس بين يديه، وقضى حوائجَه[3].

وكان عمر رضي الله عنه يقول: لو كنتُ في قَتَلَةِ[4] الحسين، وقيل لي يوم القيامة: ادخل الجنة؛ لم أدخل مخافةَ أن يراني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فأستحي منه.

وقال الشعبي: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن حزم والي المدينة أن فرِّق في آل أبي طالب عشرة آلاف دينار. فكتب إليه: في أيِّ ولده أُفرِّق؟ فكتبَ إليه

---

(١) الخبر بعضه دون بعض في «تاريخ دمشق» ٦/ ٢٥١ (ترجمة رزيق) و١٨/ ٣٥٠ (ترجمة يزيد بن عمر بن مورّق) (كلاهما مصورة دار البشير) و٥٤/ ٢٧٦ (ترجمة عمر بن المورّق ـ طبعة مجمع دمشق). وحديث سعد في قوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» أخرجه مسلم (٢٤٠٤).

(٢) كذا في (ب) و(خ) (والكلام منهما). ولعل صواب العبارة: ويصدر عن رأيه.

(٣) ينظر «تاريخ دمشق» ٦٣/ ٢٩٥ و٢٩٧ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة محمد بن علي الباقر).

(٤) في (خ): مقتلة. والمثبت من (ب) (والكلام منهما فقط) وهو موافق لما في «وفيات الأعيان» ٦/ ٣٥٣، و«الوافي بالوفيات» ١٢/ ٤٢٧. والخبر فيهما.

عمر: لو كتبتُ إليك في شاة تذبحها؛ لكتبتَ: أسوداء أم بيضاء؟ فرِّقْ في ولد عليٍّ من فاطمة عشرة آلاف دينار فطالما تَعَدَّتْهم حقوقُهم.

ودخل زين العابدين على عمر ﷺ وهو والي المدينة، فقام له، وأجلسه إلى جانبه، وقضى حوائجه، فلما خرج قال عمر ﷺ للجماعة: مَنْ ترون خيرَ الناس؟ قالوا: أنتم. قال: لا والله، خيرُ الناسِ في يومنا هذا هذا الرجلُ الذي كلُّ الناس يتمنَّوْن أن يكونوا مثلَه، ولا يتمنَّى هو أن يكونَ كأحدهم.

وقال هشام: كان الوليدُ بن عبد الملك قد كتب إلى زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب يأمره أن يخلعَ سليمان بن عبد الملك، ويبايعَ لعبد العزيز بن الوليد، ويتوعَّدُه بالقتل إن لم يفعل، فأجابه خوفاً منه، وكتب إليه بذلك.

فلما مات الوليد واستخلف سليمان؛ وُجد كتاب زيد إلى الوليد في بعض الخزائن، فكتب سليمان إلى عامله على المدينة: ادْعُ زيدَ بنَ الحسن، فأقرئه هذا الكتاب، فإن اعترف؛ فأخبرني، وإنْ أنكر فقَدِّمْه إلى بين القبر والمنبر فاضْرِبْ يمينَه[1] أنه ما كتب هذا الكتاب ولا أمرَ من يكتبُه، فلما ورد الكتاب إلى المدينة أرسله العاملُ إلى زيد، فقال: أَنْظِرْني. ثم بعث إلى القاسم بن محمد، وربيعة، وسالم بن عبد الله يستشيرُهم في ذلك، واعتذرَ بخوفه من الوليد، وقال: لولم أُجبه ليقتلنّي، أفتَرَوْن أن أحلف؟ فقالوا: إيَّاك ومبارزةَ الله، وإنَّا نرجو أن يُنجيَك اللهُ بالصدق. فأرسلَ إلى الوالي وأقرَّ أن الكتابَ كتابُه، وإنما فعلَ ذلك خوفاً من الوليد، ولم يحلف.

فكتب العامل إلى سليمان يخبره، فكتب إليه: اضْرِبْه مئةَ سوط، ودَرِّعْهُ عباءة، ومشِّهِ حافياً.

وعلم عمر ﷺ بالكتاب، فحبس الرسولَ عنده أياماً، ومرضَ سليمان، فأخذَ منه الكتاب وقال: لا تخرجْ، فإن سليمان مريض، ولعلَّه تَطِيبُ نفسُه. واستنزلَه عنه.

فأقام الرسول ثلاثة أيام، ومات سليمان، ووليَ عمر ﷺ، فمزَّق الكتاب[2].

---

(١) أي: أَلْزِمْه باليمين، وحلِّفْه جَهْدَ القَسَم.

(٢) الخبر بنحوه في «تاريخ دمشق» ٦/ ٦٠٢ (مصورة دار البشير ـ ترجمة زيد بن الحسن بن علي) ومن قوله: وقال سابق البربري: وفد يزيد (قبل سبع صفحات) ... إلى هذا الموضع ليس في (ص).

حديث الأسير الذي كان في [بلاد] الروم:

حكى أبو القاسم الدمشقي عن إسماعيل بن [أبي] حكيم المدني كاتبِ عمر بن عبد العزيز ﷺ ـ وإسماعيل بن أبي حكيم مولى عثمان بن عفان رضوان الله عليه، ويقال: مولى الزُّبير بن العوَّام ﷺ، روى عن ابن المسيِّب وأقرانِه، توفي سنة ثلاثين ومئة[١] ـ قال: بعثني عمر حين وليَ الخلافة في فداء الأسرى، فبينا أنا بالقسطنطينيَّة أدورُ؛ إذْ سمعتُ قائلاً يترنَّم:

أَرِقْتُ وغابَ عني مَنْ يلومُ ... ولكنْ لم أَنَمْ أنا والهمومُ
كأنّي من تذكُّرِ ما أُلاقي ... إذا ما أظلمَ الليلُ البهيمُ
سليمٌ ملَّ منه أقربُوهُ ... وودَّعَهُ المداوي والحميمُ
وكم في نحره[٢] بين المُنَقَّى ... إلى أُحُدٍ إلى ما حازَ رِيمُ
إلى الجَمَّاءِ[٣] من خَدٍّ أسِيلٍ ... نَقيِّ اللونِ ليس به كُلُومُ
يضيءُ دُجَى الظلامِ إذا تبدَّى ... كضوءِ الفجرِ منظرُهُ وسيمُ
فلمَّا أنْ دنا منَّا ارْتِحالٌ ... وقُرِّبَ ناجياتُ السَّيْرِ كُومُ[٤]
أَتَيْنَ مُوَدِّعاتٍ والمَطَايا ... على أكوارها خُوصٌ هُجومُ[٥]
فقائلةٍ ومُثْنِيَةٍ علينا ... تقولُ ومالَها فينا حميمُ
وأُخرى لُبُّها معنا ولكنْ ... تَسَتَّرُ[٦] وهْيَ وَاجِمةٌ كَظومُ
تَعُدُّ لنا الليالي تحتصيها ... متى هو حائنٌ منَّا قُدومُ
متى تَرَ غفلةَ الواشين عنّا ... تَجُدْ بدموعها العينُ السَّجُومُ

---

(١) قوله: وإسماعيل بن أبي حكيم مولى عثمان... إلى هذا الموضع ليس في (ص).

(٢) كذا في (ب) و(خ) (والأبيات فيهما) و«تاريخ دمشق» ٢/ ٨٣١ (مصورة دار البشير). وفي «الأغاني» ٦/ ١١٤، و«مختصر تاريخ دمشق» (على نهج ابن منظور) ٤/ ٣٤٦: وكم من حُرَّةٍ.

(٣) المُنَقَّى (في البيت قبله): موضع بين أُحُد والمدينة، ورِيم: وادٍ قرب المدينة، والجَمَّاء: جُبَيل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق. ينظر «معجم البلدان» ٥/ ٢١٥، و٣/ ١١٤، و٢/ ١٥٨.

(٤) الناجيات: جمع ناجية، وهي الناقة السريعة، وكُوم: جمع كَوْمَاء، يعني الناقة التي عظُم سَنامُها.

(٥) الأكوار: جمع كُور، وهو الرَّحْلُ، وخُوص: جمع أخوص، وهو غائرُ العين وضيِّقُها. والهُجوم: غُؤور العين أيضاً.

(٦) في «الأغاني» ٦/ ١١٦: تَصَبَّرُ.

هذه الأبيات لبقيلة[١] الأشجعي جاهلي فصيح[٢].

قال إسماعيل: فوقفت عليه وقلت: من أنت؟ فقال: أنا الوابصي، أُسرتُ فعُذِّبتُ، فدخلتُ في دينهم كُرهاً. فقلتُ: ارْجِعْ إلى الإسلام. فقال: أبعد ما وُلدَ لي فيهم ابنان، أدخلُ المدينة، فيقول بعض غلمانها لابني: يا نصراني! لا والله لا أُسلم أبداً. قال: فقلت له: أفما[٣] كنتَ تقرأ القرآن؟! قال: بلى، ولكن نسيتُه كلَّه سوى آيةٍ واحدة، وهي قولُه تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢] فقال إسماعيل للمتنصِّر: إنَّ أمير المؤمنين بعثني في الفداء، وأنتَ أحبُّ مَنْ أفتديه[٤]، أنشدك الله، ارجعْ إلى الإسلام، فقال: أبعدَ ما بطنتُ في الكفر.

وهذا المتنصّر هو الصَّلْتُ بن العاص [بن] وابصة بن خالد بن المغيرة المخزومي. وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قد حدَّه في الخمر لمَّا كان والياً على المدينة، فهربَ إلى الروم فتنصَّر، ومات على النصرانيَّة[٥].

ذكر وفاة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

قال أبو سُليم الهُذلي: خطب عمر بنُ عبد العزيز، فقال: أمَّا بعد، فإنَّ الله عز وجل لم يخلقكم عَبَثاً، ولم يدع شيئاً من أمركم سدًى، وإنَّ لكم معاداً، فخاب وخَسِرَ من خرجَ من رحمة الله، وحُرمَ الجنةَ التي عرضُها السماواتُ والأرض، واشترى قليلاً

(١) نقل ابن عساكر في «تاريخه» ٢/ ٨٣١ عن الزُّبير بن بكَّار أن العتبيَّ صحَّف في اسمه فقال: نفيلة. وكذلك وقع اسمه في «الأغاني» ٦/ ١١٤عن الزبير. ونقل أبو الفَرَج فيه عنه قوله: وسمعت بعض أصحابنا يقول: إن الشِّعر لمعمر بن العنبر الهُذَلي. والصحيح من القول أن بعض هذه الأبيات لابن هَرْمَة من قصيدة له يمدح بها عبد الواحد بن سليمان مخفوضة الميم، ولمَّا غُنِّي فيها وفي أبيات نُفيلة، وخُلط فيه ما أوجب خفض القافية، غُيِّر إلى ما أوجب رفعَها. وينظر «ديوان» إبراهيم بن هَرْمة ص ٢٠٠ـ٢٠٣.

(٢) من قوله: سليمٌ ملَّ منه (البيت الثالث)... إلى هذا الموضع ليس في (ص). وقد جاء فيها البيتان الأولان فقط، وجاء بعدهما ما لفظه: مع جماعة أبيات.

(٣) يوجد خرم في (ب) بدءاً من هذا الموضع وحتى ص ٢٠٠٣.

(٤) في (خ) و(الكلام منها): أحبُّ إليَّ ممن أفتديه. والمثبت من «تاريخ دمشق» ٢/ ٨٣١ (مصورة دار البشير ـ ترجمة إسماعيل بن أبي حكيم).

(٥) المصدر السابق.

بكثير، وفانياً بباق، وخوفاً بأمن، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلفُها بعدكم الباقون كذلك حتى تُرَدُّون إلى خير الوارثين؟! ألا ترون أنكم في كلِّ يوم وليلة تُشيِّعُون غادياً ورائحاً إلى الله، قد قضى نحبَه، وانقضى أجلُه، حتى تغيِّبُوه في صَدْع من الأرض، ثم تَدَعُونه غيرَ مُمَهَّد ولا مُوَسَّد؟! قد خلعَ الأسباب، وفارقَ الأحباب، وسكنَ التراب، وواجهَ الحساب، مرتهناً بعمله، فقيراً إلى ما قدَّم، غنياً عمَّا ترك، فاتقوا الله قبل نزول الموتِ، وايمُ الله، إني لأقول لكم هذه المقالة؛ وما أعلمُ عند أحدكم من الذنوب ما عندي. ثم وضع طرف ردائه على وجهه وبكى، وأبكى الناس، فكانت آخِرَ خطبةٍ خطبَها[1].

وقال أبو سريع الشامي: آخرُ خُطبة خطبها عُمر رضي الله عنه قال: أيُّها الناس، إنَّ لكم مَعَاداً يتجلَّى الله فيه للفصل بين العباد، وإنَّ الذي في أيديكم أسلابُ الهالكين، وسيخلفُها بعدكم الباقون؛ حتى تردَّ إلى خير الوارثين، وما يبلغني عن أحد منكم حاجة إلا أحببتُ أن أسُدَّ من حاجته، وما يبلغني أن أحداً منكم لا يسعُه ما عندي إلا وددتُ أنه يمكنني تغييره.

ثم انتحبَ، وارتجَّ المسجدُ بالبكاء، ثم نزل، فما رئي خارجاً إلا إلى حفرته.

وقيل: إنه لما حملَ الناسَ على المحجَّة البيضاء، وصَدَع بأوامر الله تعالى، ولم تأخُذْه في الله لومةُ لائم، اشتاق إلى ما أعدَّ اللهُ لأوليائه، فطارت نفسُه إلى ذلك احتقاراً للدنيا.

فذكر ابنُ أبي الدنيا وابنُ عبد البَرّ أنَّ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أرسل إلى عبد الله بن أبي زكريا وكان مجابَ الدعوة، فلمَّا دخل عليه قال له: يا ابنَ أبي زكريا، هل تدري لِمَ بعثتُ إليك؟ قال: لا. قال: لأمر لست ذاكرَه لك حتى تحلفَ لي. فقال: يا أمير المؤمنين، واللهِ لا تسألُني شيئاً إلا فعلتُه. فلما استوثق منه، قال: إني قد سئمتُ المُقَام في هذه الدار، فادعِ الله أن يقبضني إليه. فبكى ابن أبي زكريا وقال: بئس الوافد أنا

(١) ينظر: تاريخ الطبري٦/ ٥٧٠ـ٥٧١، والأغاني ٩/ ٢٦٦ـ٢٦٧، وحلية الأولياء ٥/ ٢٩٥، وتاريخ دمشق ٤١/ ٣٥٠ـ٣٥١ (ترجمة عبد الرحمن بن محمد القاري) و٥٤/ ١٤١ـ١٤٢ (ترجمة عمر بن عبد العزيز) (كلاهما طبعة مجمع دمشق)، وصفة الصفوة ٢/ ١٢٣ . ورواية الخبر منه.

للمسلمين! فقال عمر: هاه قد حلفتَ لي. فبسطَ يدَه وقال: اللهمَّ خِرْ لعمر في لقائك، ولا تُبْقِني بعده. وأقبلَ صبيٌّ صغير لعمر، فقال: وهذا أيضاً، فإني أحبُّه. فدعا له، فمات عُمر، ومات ابنُ أبي زكريا، وماتَ الصبي.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن جابر: فما شبَّهتُ الثلاثة إلا بخَرَزَات ثلاث في سلك قُطع أسفلُه، فتتابعن في جُمعة[١].

وقال عبد الله بن المبارك: وجدوا في بعض الكتب: تقتلُه خشيةُ الله. يعني عمر بن عبد العزيز.

وقيل: إنه سُمَّ. وهو الأصحّ[٢].

قال أبو زيد الدمشقي[٣]: لما مرض عمر [بن عبد العزيز] دخل عليه الطبيب، فجسَّ نبضَه، وصعَّد النظر فيه، وقال: إنه مسموم، ولا آمنُ عليه الموت. فرفع عُمر رضي الله عنه طَرْفَهُ إليه وقال له: ولا نأمنُ الموت على من لم يُسقَ السُّمَّ أيضاً. فقال الطبيب: هل أحسستَ بشيء؟ قال: نعم، قد عرفتُ حين وقع في جوفي. فقال: يا أمير المؤمنين فتعالج. فقال: واللهِ لو علمتُ أن شفائي في طرف أنفي لما مددتُ يدي إليه. قال: فتذهب نفسُك. قال: ربي خيرُ مذهوبٍ إليه، اللهمَّ خِرْ لعُمر في لقائك. فلم يلبث إلا أياماً حتى مات.

وقيل لأبي سريع الشامي: فمَنْ سَمَّه؟ قال: وهل سمَّه إلا أقاربُه الذين ضيَّقَ عليهم الأمور بإقامة الحقّ، ودحض الباطل، وإحياء السنن؟!

وقال أبو عبد الله الحاكم: استدعى عمر بالخادم الذي سمَّه، فقال له: لِمَ فعلتَ بي هذا؟! فبكى وقال: لشقوتي وشقاء المسلمين، إن فلاناً ـ وسمَّى بعض بني أمية[٤] ـ أعطاني ألف دينار، فبالله استَقِدْ منّي، فقد ندمتُ. فقال [له] عمر رضي الله عنه: واللهِ لو

---

(١) بنحوه في «تاريخ دمشق» ٨/ ١٠٥٦ (مصورة دار البشير ـ ترجمة عبد الله بن أبي زكريا إياس).

(٢) من قوله: فقال إسماعيل للمتنصّر قبل هذه الفقرة (ذكر وفاة عمر)... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٣) في (ص): حدثنا هشام بن عبد الله الرازي، أخبرنا أبو زيد الدمشقي قال... وهو بنحوه في «تاريخ دمشق» ١٩/ ٥٩ (مصورة دار البشير) وفيه: هشام بن عبيد الله.

(٤) قال ابن عبد ربّه في «العقد الفريد» ٤/ ٤٣٩: يرى الناس أن يزيد بن عبد الملك سمَّه؛ دسَّ إلى خادم كان يخدمه، فوضع السُّمَّ على ظفر إبهامه، فلما استسقى عمر، غمس إبهامه في الماء، ثم سقاه.

أُعطيتُ الدنيا وما فيها لما سممتُك، اذْهَبْ فضع الألف دينار في بيت المال، واذهبْ حيث شئتَ. ولم يتعرَّض له[١].

وقال هاشم: لما كانت الصَّرْعةُ التي هلك فيها عمر ﷺ؛ دخلَ عليه مَسْلَمةُ بنُ عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، إنك فغرتَ أفواه ولدِك من هذا المال، وتركتَهم عَيْلَةً لا شيء لهم، فلو أوصيتَ بهم إليَّ، أو إلى نُظرائي من أهل بيتك. فقال: أَسْنِدُوني. فأسندوه، فقال: واللهِ ما منعتُهم حقّاً هو لهم، ولا أعطيهم ما ليس لهم. وأما قولُك: لو أوصيتَ بهم، فإن وصيِّي اللهُ، ووليِّي الله الذي نزَّل الكتاب، وهو يتولَّى الصالحين[٢]. بنيَّ أحدُ رجلين؛ إما رجلٌ يتقي الله سبحانه، فسيجعلُ له مخرجاً، وإمَّا رجل يكبُّ على المعاصي، فإني لم أكن أقوِّيه على معاصي الله.

ثم بعث إليهم وهم بضعةَ عشرَ ذكراً، فنظر إليهم، فذرفت عيناه، ثم قال: بنفسي الفتية الذين تركتُهم عَيْلةً لا شيء لهم، يا بنيَّ، إن أباكم خُيِّرَ بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار، أو تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة [فكان أن تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة] أحبَّ إليه من أن تستغنوا ويدخل النار. قوموا عصمكم الله[٣].

وقال هشام[٤]: إن عمر بن عبد العزيز قال لولده: يا بَنيّ، إنكم لا تلقون أحداً من أهل الإسلام والذِّمَّة إلا ويرى لكم عليه فضلاً[٥].

وقال الزُّهري: خلَّف عمر ﷺ سبعةَ عشرَ ديناراً، فأخذ كل ولد ديناراً، ومات مسلمة بن عبد الملك وترك ألف ألف دينار، فأخذ كل واحد من ولده نصيبَه.

قال رجاء بن حَيْوة: فبارك الله فيما ترك عمر، ومحق ما ترك مسلمة، حتى إني رأيتُ بعضَ أولاد مسلمة يستعطي من أولاد عمر.

---

(١) بنحوه في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢٠٣ (طبعة مجمع دمشق) عن مجاهد.

(٢) اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأعراف: ١٩٦].

(٣) حلية الأولياء ٥/ ٣٣٣ـ٣٣٤. وما سلف بين حاصرتين منه. وينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٩٣، و «العقد الفريد» ٤/ ٤٤٠ـ٤٤١ ، و«تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢٠٣ـ٢٠٤ .

(٤) كذا في (خ) (والكلام منها). والخبر في «الحلية» ضمن الخبر قبله. لكن راويه هاشم كما سلف، فليحرر.

(٥) في «الحلية» ٥/ ٣٢٤ : حقّاً.

ولما ثقل عمر ﷺ قال: أجلسوني. فأجلسوه، فقال: اللهمَّ [إنك] أمرتَني فقصَّرتُ، ونهيتَني فعصَيْتُ، ولكن لا إله إلا الله. ثم رفع رأسه وأحدَّ النظر، فقالوا له: إنك لتنظرُ نظراً شديداً. فقال: إني لأرى حَضْرةً ما هم بإنسٍ ولا جنّ. ثم قبض[١].

وقال ﷺ: ما أُحبُّ أن يُخَفَّفَ عني الموتُ، أو يهوَّن عليَّ، فإنه آخرُ ما يُؤجرُ عليه الإنسان.

ولما احتُضر قال: اخرجوا عني لا يبقى عندي أحد. فخرجوا[٢].

وقال محمد بن قيس: حضرتُ أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أوَّلَ مرضِه، اشتكى لهلال رجب سنة إحدى ومئة، فكان شكواه عشرين يوماً، فأرسل إلى ذِمّيّ ونحن بدَيْر سَمْعان، فساومَه بموضع قبره، فقال الذِّمّيّ: يا أمير المؤمنين، إنها لخير أن يكون قبرُك في أرضي، قد حلَّلْتُك. فأبى عمر حتى ابتاعه منه بدينارين، ثم دعا بالدينارين، فدفعهما إليه[٣].

وقال إبراهيم بن ميسرة: اشترى موضع قبره بعشرة دنانير[٤].

وقال هشام: قال عمر للرهبان: انتفعوا بمكان قبري بعد خمس سنين. وقال له الراهب: أعطني قميصك. فيقال: إنه أسلم.

وكانت فاطمة بنت عبد الملك وأخوها مسلمة عند عمر ﷺ، فقال أحدهما لصاحبه: لا نكون قد ثَقُلْنا عليه. فخرجا وهو منحرفٌ على غير القبلة. قالا: قلَّما لبثنا حتى عُدنا؛ وإذا هو متوجِّهٌ إلى القبلة وإذا متكلِّمٌ يتكلَّم لا نراه يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٥] [القصص: ٨٣].

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٣٣٥، وتاريخ دمشق ٤٥/ ٢٠٥. ونُسب الخبر في (ص) لأبي نُعيم.

(٢) تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٠٦ مطول.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩٢. وأخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢٠٥ رواية محمد بن قيس من طريق ابن أبي الدنيا، وفيها أنه ابتاعه منه بثلاثين ديناراً.

(٤) المصدر السابق، والأغاني ٩/ ٢٦٧.

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩٢ـ٣٩٣. وينظر «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢٠٦.

قال الواقدي: لما احتُضر عمر رضي الله عنه كتب إلى يزيد بن عبد الملك: أما بعد، فإياك أن تدركك الصَّرْعة عند العزَّة، فلا تُقالَ العَثْرة، ولا تُمكَّنَ من الرَّجْعة، ولا يحمدَك مَنْ خلَّفْتَ، ولا يَعْذِرَك من تَقْدَمُ عليه[١].

وقال ابن سعد: كتبَ إلى يزيد: سلامٌ عليك، أمَّا بعد، فإني لا أُراني إلا لِما بي[٢]، ولا أرى الأمر إلا سيُفْضي إليك، فاللهَ اللهَ في أمَّة محمد ﷺ.

وقالت فاطمة بنتُ عبد الملك: كنتُ أسمعُ عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي مات فيه يقول: اللهم أخْفِ عنهم موتي ولو ساعةً من نهار. فلما كان اليوم الذي قُبض فيه؛ خرجتُ من عنده، فجلست في بيت آخر، وبيني وبينه باب، وهو في قبَّة له، فسمعتُه يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ ثم هدأ. فجعلتُ لا أسمعُ له حسّاً ولا حركةً، فقلتُ لوصيف كان يخدُمه: انظر أميرَ المؤمنين، أنائم هو؟ فدخل عليه وصاح، فوثبتُ فدخلتُ، فإذا هو ميِّتٌ قد استقبلَ القبلة، وأغمضَ نفسَه، ووضع إحدى يديه على فيه، والأخرى على عينيه[٣]. وقال[٤]: شممتُ رائحة النَّدِّ والمسك من القبَّة وهو يقول: مرحباً بهذه الوجوه التي ليست بوجوه إنس ولا جانّ. ثم قبض[٥].

وقال الواقدي: أوصى أن يكفَّن في خمسة أثواب، منها قميص وعِمامة، وكان عنده شعرٌ من شعر رسول الله ﷺ وأظفارٌ من أظفاره فقال: إذا مِتُّ فاجعلوه في أكفاني. ففعلوا[٦].

ومات رضي الله عنه لعشر ليال بقين من رجب سنة إحدى ومئة. وقيل: لخمسٍ بقين منه. وقيل: في جمادى الآخرة. والأوَّل أصحّ. وعامَّةُ الرُّواة على أنَّ قبرَه بدَيْر سَمْعان [شمالي حلب][٧].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩٣.

(٢) في (خ) (والكلام منها): فاني. والمثبت من المصدر السابق، والخبر فيه.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩٤.

(٤) كذا في (خ) و(الكلام منها فقط، وهي كثيرة الأخطاء) ولعل الصواب: وقالت. يعني فاطمة، فيكون الكلام عندئذ تتمة للخبر قبله. والله أعلم.

(٥) من قوله: وقال محمد بن قيس: حضرت أمير المؤمنين. (الصفحة السابقة)... إلى هذا الموضع ليس في (ص).

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩٣ـ٣٩٤.

(٧) ينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٩٥، و«تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢١٤ـ٢٢٠. وما بين حاصرتين من (ص).

قال أبو بكر بن عياش وذكر عمر بن عبد العزيز ﷺ: ليُحشرنَّ من دَيْر سَمْعان رجلٌ كان يخافُ الله تعالى[١].

[واختلفوا في سنِّه، قال (ابن سعد): حدثنا الفضل بن دُكين قال: سمعتُ سفيان بن عُيينة يقول: كان عمر بن عبد العزيز ابنَ أربعين سنة.

قال سفيان: وسألتُ ابنه: كم بلغ من السنّ؟ فقال: لم يبلغ الأربعين[٢].

قال هشام: قال رجاء بن حَيْوة: كان عمر بن عبد العزيز يقول: تمَّت حُجَّةُ الله على أبناء الأربعين أن الرجل إذا لم يبلغ قال الله تعالى للملكين: خفِّفا، فإذا بلغها قال الله تعالى: اكتبا وخفِّفا. فمات للأربعين[٣].

قلت: لم يبلغ أربعين].

وقال كثيِّر عزَّة يرثيه:

أقولُ لمَّا أتاني ثَمَّ مَهْلِكُهُ ... لا يَبْعَدَنَّ قِوامُ الحقِّ والدينِ

قد غادروا في ضريح اللَّحدِ مُنجدلاً ... بدَيْر سَمْعانَ قسطاسَ الموازينِ[٤]

لم تُلْهِهِ عُمْرَهُ عينٌ يُفَجِّرها ... ولا النخيلُ ولا رَكْضُ البَراذينِ[٥]

وقال الجُمحيّ:

لو كنتُ أملكُ للأقدار تروية ... تأتي رَوَاحاً وتبييتاً وتبتكرُ

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩٧. ولم يرد هذا الخبر في (ص).

(٢) المصدر السابق ٧/ ٣٩٦.

(٣) لم أقف عليه. وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» ٥/ ٣٣٥ عن علي بن زيد عن عمر بن عبد العزيز قال: لقد تمت حجة الله على ابن الأربعين، فمات لها عمر بن عبد العزيز. لكن أخرجه أيضاً ابن عساكر ٥٤/ ٢٠١ أيضاً وفي آخره: وما بلغها. والكلام بين حاصرتين من (ص).

(٤) البيتان في «أنساب الأشراف» ٧/ ١٤٢، وكذلك نسبهما البلاذري إلى كثيّر. وهما بنحوهما في «العقد الفريد» ٣/ ٢٨٥، و«حلية الأولياء» ٥/ ٣٢٠، ونُسبا في «العقد» لرجل من أهل الشام.

(٥) البيت الثالث في «حلية الأولياء» ٥/ ٣٢١، وتاريخ دمشق ٥٤/ ٢١٢، والبيتان قبله فيهما بنحوهما، ونُسبت الأبيات فيهما لابن عائشة. وصدر البيت الثالث في «العقد الفريد» ٣/ ٢٨٥ وغيره: مَنْ لم يكن همُّه عيناً يفجّرها. والأبيات الثلاثة بنحوها أيضاً في «مروج الذهب» ٥/ ٤٤٥، ونسبت فيه للفرزدق.

دفعتُ عن عُمرِ الخيراتِ مصرعَهُ بدَيْرِ سمعانَ لكن يغلبُ القَدَرُ[١]

وللشريف الرضي المُوسويّ:

دَيْرَ سمعانَ لا أَغَبَّكَ غيثٌ خيرُ مَيْتٍ من آلِ مروانَ مَيْتُكْ
يا ابنَ عبدِ العزيزِ لو بكتِ العَيْـ ـنُ دماً من شؤونها لبكَيْتُكْ
أنتَ نَزَّهْتَنا عن القَذْفِ والسَّـ ـبِّ فلو أمكنَ الجزاءُ جَزَيْتُكْ
غيرَ أني أقولُ إنكَ قد طِبْـ ـتَ وإنْ لم يَطُبْ ولم يَزْكُ بيتُكَ

ولا يعرف أهلُ الشام بالشام مكاناً يقال له: دَيْر سمعان إلا شماليّ حلب، وهو دَيْرٌ مشهور، أما المكان الذي يَزُورُ الناس فيه قبرَ عمر رضي الله عنه، فبالمعرَّة بدير من أعمال معرَّة النعمان[٢].

وقال البلاذري[٣]: مرض بخُناصرة، وتوفّي بدَيْر سَمْعان، وبين خُناصرة ودَيْر سمعان أربعون ميلاً، وخُناصرة على تخوم قِنَّسْرين.

وقيل: مرض بحمص، وتوفّي بدَيْر سمعان. ومات رضي الله عنه وهو ابنُ تسع وثلاثين سنة وأشهر[٤].

وقال الهيثم بن واقد: استُخلف عمر بن عبد العزيز بدابق يوم الجمعة لعشر مضين[٥] من صفر سنة تسع وتسعين، وتوفي بخُناصرة يوم الأربعاء لخمس ليالٍ بقين من رجب سنة إحدى ومئة، فكانت خلافتُه سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام[٦].

وقيل: بلغ أربعين سنة[٧].

---

(١) البيتان في «أنساب الأشراف» ٧/ ١٤٣ مع مجموعة أبيات، وفيه: المِرَرُ، بدل: القدر. وقال محقّقُه: في هامش المخطوط: المِرَر جمع مِرَّة، وهي القوة. والبيتان أيضاً بنحوهما في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢١٣ مع أبيات، ونُسبت فيها لمحارب بن دثار، ونسبهما الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٥/ ١٤٧ لجرير. وليسا في «ديوانه».

(٢) ينظر «معجم البلدان» ٢/ ٥١٧.

(٣) أنساب الأشراف ٧/ ١١٠.

(٤) المصدر السابق ٧/ ٦٦ و٢٣٩ـ٢٤٠. وينظر «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢١٣ـ٢٢٠.

(٥) في «طبقات» ابن سعد ٧/ ٣٩٥: بقين.

(٦) الخبر في المصدر السابق، وجاء فيه بعده: ومات وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر، ودُفن بدير سمعان. وسلف هذا الكلام قبله.

(٧) من قوله: وقال كثيّر عزَّة يرثيه... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

وقال رجاء بن حَيْوة: قال لي عمر بن عبد العزيز في مرضه: كن فيمن يُغسِّلُني ويُكفِّنُني، ويدخل في قبري، فإذا وضعتموني في لحدي فحُلَّ عقدة الكَفَن، وانظر إلى وجهي، فإني قد دفنتُ ثلاثةً من الخلفاء؛ كلُّهم إذا [أنا] وضعتُه في لحده؛ حللتُ العقدة، ثم نظرتُ إلى وجهه؛ فإذا وجهُه مسودٌّ في غير القبلة. قال رجاء: فلما دخلتُ في قبره حللتُ العقدة؛ فإذا وجهُه كالقراطيس في القبلة[١].

وقال عمر رضي الله عنه لمسلمة بن عبد الملك: لما دفنتُ أباك نمتُ عند قبره، فرأيتُه قد أفضى إلى أمرٍ راعني، فعاهدتُ الله إن وليتُ هذا الأمر أن لا أعملَ عمله، وقد اجتهدتُ طول حياتي، وأرجو أنْ أُفضيَ إلى عفو الله ورضوانه.

قال مسلمة: فلما دفنَّا عمر رضي الله عنه، نمتُ عند قبره، فرأيتُه في روضة خضراء، فيها قصورٌ عالية، وأنهارٌ مطردة، وملكٌ عظيم، فأقبلَ عليَّ وقال: يا مسلمة ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾[٢][الصافات: ٦١].

وقال ميمون بن مِهْران: قال لي عُمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: لما وَضَعْتُ الوليدَ في قبره نظرتُ في وجهه، وإذا به قد اسوَدّ، فإذا وُضِعْتُ في قبري فاكْشفُ عن وجهي. [قال ميمون:] فكشفتُ عن وجهه، وإذا به أحسنُ ما كان في أيام تنعُّمِه[٣].

وقال يوسف بن ماهك: بينا نحن نسوِّي التراب على قبر عمر بن عبد العزيز إذْ سقط علينا رَقٌّ من السماء فيه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا أمانٌ من الله لعمر بن عبد العزيز من النار[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩٤ـ٣٩٥، وتاريخ دمشق ٥٤/ ٢٠٧. وأوردها الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٥/ ١٤٣ وقال: إسنادها مظلم.

(٢) بنحوه في «الأغاني» ٩/ ٢٦٥.

(٣) أنساب الأشراف ٧/ ١١٥. وما سلف بين حاصرتين من (ص). وسلف نحوه عن رجاء بن حيوة قبل خبر. وينظر التعليق عليه.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩٥، ونُسب الخبر في (ص) إليه. وأورد الذهبي الخبر في «سير أعلام النبلاء» ٥/ ١٤٣ ثم قال: مثل هذه الآية لو تَمَّت لنقلها أهل ذاك الجمع، ولَمَّا انفرد بنقلها مجهول، مع أن قلبي منشرحٌ للشهادة لعمر أنه من أهل الجنة.

وقال أبو سريع: لما فرَغوا من دفن عمر رضي الله عنه قام مسلمةُ بنُ عبد الملك على قبره وقال: رحمك الله يا أمير المؤمنين، فلقد أورثتَ صالحاً بك اهتَدَوْا واقتَدَوْا[١]، وملأتَ قلوبنا بمواعظك خشيةً وتذكاراً، وأنلْتَ لنا شرفاً، وأبقيتَ لنا في الصالحين ذِكراً، فعليك السلام حيّاً ومَيِّتاً.

وقال مَسْلَمة: واللهِ ما أمِنْتُ الرِّقَّ حتى رأيتُ هذا القبر[٢].

وقال ابنُ عساكر: حدثنا عبد الجبار بنُ عبد الصمد الإمام[٣] قال: حدثني أبي، حدثني محمد بن إسحاق ابن الحريص قال[٤]: حدثنا أبو محمد [المسيّب بن واضح، حدثنا عيسى بن كيسان، عمن حدَّثه] عن عُمير بن الحُباب قال: أُسرتُ أنا وثمانيةُ أنفسٍ في زمن بني أمية، فأمرَ ملكُ الروم بضرب أعناقنا، فضُربت أعناق أصحابي، وشَفع فيَّ بطريق من البطارقة، فوهبَني له، فمضى بي إلى منزله، وكان عُمير جميلاً نبيلاً، فقال له البطريق: تَنَصَّرْ وأُزوِّجُك ابنتي، وأقاسمُك مالي. فقلت: ما أدعُ ديني لأجل امرأة ولا مال.

فأقام أياماً يعرض عليَّ ذلك، وكانت ابنتُه شابّة جميلة، فقالت لي يوماً: ما يمنعك ممَّا عرض عليك أبي؟! فقلت: لا أَدَعُ ديني لأجل امرأة ولا مال. فقالت: أتحبُّ الذهابَ إلى أهلك، أو المُقامَ عندنا؟ قلتُ: الذهاب إلى أهلي. فأَرَتْني نجماً في السماء وقالت: سِرْ على هذا ليلاً، واكْمُنْ نهاراً. وأطلقتني.

فسرت ثلاثاً، فبينا أنا في اليوم الرابع، وإذا أنا بالخيل قد أدركَتْني، فاستسلمتُ، فأشرفوا عليَّ، وإذا بأصحابي المقتلين[٥] على خيل شُهْب ومعهم آخرون على خيل

(١) في «الأغاني» ٩/ ٢٦٥ . (والكلام فيه بنحوه): أورثتَ صالحينا بك اقتداءً وهدًى.

(٢) العقد الفريد ٤/ ٤٣٧ . وفيه قبله قول عمر لبعض بني أمية: إني أرى رقاباً سترِدُّ إلى أربابها.

(٣) هذا الكلام على التجوّز إن لم يكن ثمة سقط، فإن بين عبد الجبَّار هذا وابن عساكر في هذا الخبر ثلاثة رواة. ينظر «تاريخ دمشق» ٥٦/ ١٢٩ (طبعة مجمع دمشق).

(٤) من قوله: وقال أبو سريع: لما فرغوا... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٥) كذا هي اللفظة في تاريخ دمشق ٥٦/ ١٢٩ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة عُمير بن الحباب) والخبر منه، وفي نسخة (كما في حواشيه): المقتولين. وما سلف بين حاصرتين منه.

شُهب، فقالوا: عمير؟! قلت: نعم، أوليس قد قُتلتم؟! قالوا: بلى، ولكنَّ الله نشرَ الشهداء، وأَذِنَ لهم أن يشهدوا جنازة عُمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه.

وحكى الحافظ أبو القاسم أيضاً عن رجل من أهل الشام استُشهد له ابنٌ، فبينا هو في ظاهر البلد مع امرأته في البَيْدَر يُصلح أرضاً؛ إذا بفارسٍ قد أقبلَ، فقال الرجل لزوجته: هذا ـ واللهِ ـ ابني قد أقبل، فلما قَرُب منهما؛ قال له أبوه: أليس قد استُشهدت؟! قال: بلى، ولكنَّ عُمر بن عبد العزيز قد توفّي في هذه الساعة، واستأذنَ الشهداء ربَّهم في شهود جنازته، فأَذِنَ لهم في شهودها، وكنتُ فيهم. فنظروا، فإذا عُمر قد ماتَ في تلك الساعة[١].

ذكر ثناء العلماء عليه وما جرى بعد وفاته رضي الله عنه:

قال ابن سعد[٢]: كان عُمر بن عبد العزيز ثقةً مأموناً، له فقه وعلم وورع، وروى حديثاً كثيراً، وكان إمامَ عدل، رحمه الله ورضيَ عنه.

وقال أبو جعفر المنصور: ما ردَّ علينا حقوقنا إلا عمر بن عبد العزيز.

وقال العباس بن راشد[٣]: خرجتُ مع عمر بن عبد العزيز، فمررنا بوادٍ، فإذا حيَّةٌ ميّتة على الطريق، فنزلَ، فدفَنَها، وإذا بهاتفٍ يهتف: يا خرقاء، يا خرقاء. فالتفتنا يميناً وشمالاً، فلم نرَ أحداً، فقال عمر رحمه الله: أسألُك بالله أيُّها الهاتف إلا أخبرتَنا ما الخرقاء. فقال: الحيَّة التي دفنتَها، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لها: «يا خرقاء، تموتين بفلاة من الأرض، فيدفنك خير مؤمني أهل الأرض يومئذ». قال عمر: ومَنْ أنتَ يرحمُك الله؟ قال: أنا من الجنّ السبعة الذين بايعوا رسول الله ﷺ في هذا الوادي. فدمعَتْ عينا عمر رضي الله عنه، ثم انصرف[٤].

وقال وَهْب بن مُنبِّه: إن كان في هذه الأمة مهديّ فهو عمر[٥].

---

(١) تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٠٨ـ٢٠٩ (طبعة المجمع ـ ترجمة عمر بن عبد العزيز).

(٢) في «الطبقات» ٧/ ٣٩٧.

(٣) في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ١١٥: بن أبي راشد.

(٤) المصدر السابق.

(٥) حلية الأولياء ٥/ ١٥٣، وتاريخ دمشق ٥٤/ ١٥٣، وبنحوه فيهما عن الحسن. ومن قوله: ذكر ثناء العلماء عليه ... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

وقال أحمد ابن حنبل رحمه الله: إذا رأيتَ الرجلَ يحبُّ عمر بن عبد العزيز ويذكرُ محاسنه وينشرُها، فاعلم أنَّ من وراء ذلك خيراً إن شاء الله(١).

وكان [محمد بن] عليّ بن الحسين يقول: يُبعث عمر بن عبد العزيز يوم القيامة أمةً وَحْدَه(٢).

وحكى محمد بن المهاجر قال: رأى رجل في منامه من أهل البصرة كأنَّ قائلاً يقول له: حُجَّ في عامك هذا. فقال: من أين أحجُّ؟! فقيل له: احْفِرْ مكان كذا وكذا، ففيه درعٌ، فبعها، وحُجَّ بثمنها. ففعل الرجل.

قال: فلما قضيتُ مناسكي رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام وهو يمشي بين أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما فقال [لي]: اقرأ على عمر بن عبد العزيز السلام، وقل له: إنَّ اسمك عندنا المهديّ، وأبو اليتامى، فشدَّ يدك على العريف والمكّاس، وإياك أن تحيدَ عن طريق هذَيْن، فيُحاد بك عنّي.

قال: فانتبهتُ وأنا أبكي، وقدمتُ الشام، فأتيتُ عمر وهو بدَيْر سَمعان، فأخبرتُه، فقال: أعطوه كذا وكذا. فقال: لا آخذُ على رسالة رسول الله ﷺ أجراً.

ونام عمر رضي الله عنه، ثم انتبه وهو يبكي ويقول: صدق الرجل، رأيت الساعة رسولَ الله ﷺ وهو يقول لي كما قال البصري(٣).

وقد رثاه خلقٌ كثير، فمن أحسن ما قيل فيه قولُ كُثَيِّر:

عَمَّت صنائعُه فعمَّ مُصابُهُ ... فالناسُ فيه كلُّهم مأجورُ
ردَّت مناقبُه عليه حياتَهُ ... فكأنَّه من نَشْرِها منشورُ
والناسُ مَأْتَمُهُمْ عليه واحدٌ ... في كل دارٍ أَنَّةٌ وزفيرُ(٤)

(١) أورده اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» ١/ ١٩٢ (فقرة اعتقاد علي بن المديني).
(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٥٤. وما سلف بين حاصرتين منه.
(٣) بنحوه في «المنامات» لابن أبي الدنيا ص ٧٠ـ٧١. وأخرجه من طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ١٥١ـ١٥٢.
(٤) تاريخ دمشق ٥٤/ ٢١٢ (طبعة مجمع دمشق).

وقال جرير:

يَنْعَى النُّعاةُ أميرَ المؤمنين لنا ... يا خيرَ من حجَّ بيتَ اللهِ واعْتَمَرَا
وُلِّيتَ أمراً عظيماً فاصطبرتَ لهُ ... فقُمتَ فيه بحمدِ اللهِ يا عُمَرَا[1]
الشمسُ كاسفةٌ ليست بطالعةٍ[2] ... تبكي عليك نجومَ الليلِ والقَمَرا[3]

وقال المصنف رحمه الله: ومن أحسن ما سمعتُ في هذا الباب قولُ أبي عبد الله ابن سنان الخَفَاجي الشاعر من أبيات:

إنَّ في جانب المقطَّم مهجو ... راً ومن أجله تُزار القبورُ
ومقيماً على المعرَّة تطويـ ... ـه الليالي وذِكْرُهُ منشورُ

وقال وُهيب بن الورد: بلغَنا أن عُمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لمَّا توفّي جاء الفقهاء إلى زوجته يعزُّونها، فقالوا لها: جئناك نعزِّيكِ بعمر، فقد عمَّت مصيبةُ الأمة، فأخبرينا يرحمكِ الله عن عمر كيف كانت حالُه في بيته، فإن أعلم الناسِ بالرجل أهلُه. فقالت: واللهِ ما كان عمرُ بأكثرِكم صلاةً ولا صياماً، ولكن واللهِ ما رأيتُ عبداً قطُّ كان أشدَّ خوفاً منه لله، واللهِ إنْ كان ليكونُ في المكان الذي ينتهي سرورُ الرجلِ بأهله، [بيني وبينه لِحاف] فيخطرُ على قلبه الشيء من أمر الله، فينتفضُ كما ينتفض الطائر إذا وقع في الماء، ثم ينشج ويرتفع بكاؤه حتى أقول: خرجت نفسُه، فأطرحُ اللِّحاف عني وعنه رحمةً له، وأقولُ: يا ليت بيننا وبين هذه الإمارة بُعْدَ المشرقَيْن، فواللهِ ما رأينا سروراً منذ دخَلْنا فيها[4].

وقال عطاء: بكت فاطمة بنتُ عبد الملك زوجةُ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعد وفاته حتى عَشِيَ بصرُها، فدخل عليها أخواها مسلمة وهشام، فقالا: يا بنت عبد الملك، ما هذا الأمر الذي قد دُمْتِ عليه؟ فإن كان جزعاً على بعلك؛ فإنه واللهِ أحقُّ من جُزِع

(١) قال محمد بن حبيب في «شرح ديوان جرير» ٢/ ٧٣٦: أراد: يا عمراه. على النُّدبة.
(٢) انقلبت العبارة في (خ) (والكلام منها) فجاء فيها: الشمس طالعة ليست بكاسفة! والتصويب من «الديوان».
(٣) ذكر ابنُ حبيب في «شرحه» عن الكسائي أنه أراد أن الشمس كاسفةٌ تبكي عليك الشهرَ والدهرَ. وذكر ابن عساكر الأبيات في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٢١٢.
(٤) طبقات ابن سعد٧/ ٣٩٦، وما سلف بين حاصرتين منه. وأخرجه من طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ١٩١_١٩٢.

عليه، وإن كان على شيء من الدنيا فاتكِ؛ فها نحن وأموالُنا وأهلونا بين يديك. فبكت وقالت: واللهِ ما أَسَفي على شيء من الدنيا، ولكني رأيتُ منه ليلة منظراً هالَني، فعلمتُ أن الذي أخرجه إلى الذي رأيتُ منه هولٌ عظيم، قد أسكنَ في قلبه معرفته. قالا: وما رأيت منه؟ قالت: رأيتُه ذات ليلة قائماً يصلِّي، فأتى على هذه الآية: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾[القارعة: ٤ـ٥] فجعل يردِّدُها حتى طلع الفجر، ويقول: وَيْلي من يومٍ يكونُ الناسُ فيه كالفراش المبثوث. فلما طلع الفجر سقط كأنَّه ميِّت، فلم يُفِقْ حتى جاءه المؤذّن يؤذنُه بالصلاة، فقام فَزِعاً، فواللهِ ما ذكرتُ ليلته تلك إلا أصابني ما رأيتُم، فلم أملك ردَّ عَبْرَتي[1].

قال أبو سريع الشامي: لما مات عمر رضي الله عنه جاءت الفقهاء إلى فاطمة يسألونها عن حاله، فقالت: واللهِ لو كان حيّاً لما أخبرتُكم، إنه كان قد فَرَّغ نفسه للناس، يقعدُ لهم يومَه، فإذا أمسى وعليه بقيةٌ من حوائج الناس؛ وصلَ يومَه بليلته، فإذا فَرَغَ من الحوائج؛ دعا بسراج من ماله، ثم قام يصلِّي ما شاء الله، فإذا فَرَغَ من صلاته وضع رأسَه على يده ودموعه تسيل على خدِّه يشهق شهقةً، فأقول: قد انصدعت كبده. فلا يزال كذلك حتى يصبح، فيظلُّ صائماً، فأقول له: ارفق بنفسك. فيقول: يا بنت عبد الملك، دعيني وشأني، وعليكِ بشأنِك. فأقول: أرجو أن أتَّعظ. فيقول: إذن أخبرك. إني نظرتُ إليَّ، فوجدتُني قد وَلِيتُ أمرَ هذه الأمة؛ صغيرِها وكبيرِها أبيضِها وأسودِها وأحمرِها، ثم ذكرتُ الغريب المحتاج، والأسير المفقود، وأشباههم في أقاصي الأرض وأطراف البلاد، فعلمتُ أن الله سائلي عنهم، وأنَّ محمداً ﷺ حجيجي فيهم، فخفتُ أن لا يثبت لي عند الله عذر، ولا يقوم لي عند نبيِّه ﷺ حُجَّة، وكلَّما ذكرتُ هذا ازدَدْتُ خوفاً ووجلاً[2].

وقال ابنُ أبي الدنيا: أرسلَ ملكُ الروم [رسالة] إلى عمر [بن عبد العزيز] رضي الله عنه، فبعثَ بجوابها مع محمد بن معبد وبعثَ معه أُسارى من الروم، ليفاديَ بهم أُسارى من المسلمين.

---

(١) بنحوه في «المنتظم» ٧/ ٧٢.

(٢) الخبر بنحوه في «تاريخ دمشق» ٥٤/ ١٦٠ عن عطاء، وقد أخرجه ابن عساكر فيه من طريق ابن أبي الدنيا.

قال ابن معبد: فكنتُ إذا دخلتُ على ملك الروم أراه جبَّاراً عاتياً جالساً على تخت، وعليه تاجُه، فدخلتُ عليه يوماً وهو جالسٌ على الأرض كئيباً حزيناً، فقلت: ما الخبر؟! فقال: مات العبد الصالح عمر، لو كان أحدٌ بعد المسيح يُحيي الموتى لكان عمر. ثم قال: إني لستُ أعجب ممن يُغلق بابه ويرفضُ الدنيا، وإنما العجب ممَّن الدنيا تحت قدميه وهو يرفضُها[١].

وقال ابن أبي الدنيا: أرسل عمر رضي الله عنه رسولاً إلى القسطنطينية، فخرج يمشي في أزقَّتها، فسمع قارئاً يقرأ القرآن، فوقف عليه، فإذا بأعمى يقرأ القرآن ويطحن في مدار، فسلَّم عليه، فقال: وأنَّى بالسلام في هذه الأرض؟! فأخبره أنه رسول عمر رضي الله عنه وقال له: ما الذي أوقعك ههنا؟ فقال: أُخذتُ من بعض الطرق، فعرض عليَّ طاغيةُ الروم النصرانية، فأبيتُ، فسمل عينيَّ وصيَّرني إلى هذا الموضع، ويبعث إليَّ في كلِّ يوم بحنطةٍ أطحنُها له.

فلما عاد الرسول إلى عمر رضي الله عنه أخبره، فبكى [عمر] حتى بلَّ الأرضَ من دموعه، وقال له: عُدْ على حالك، وقل للطاغية: والله لئن لم تبعث بالطحَّان؛ لأبعثنَّ إليك جنوداً أوَّلُها عندك وآخرها عندي.

فلما بلغه الرسالة قال: ما كنَّا لنُحوج الرجل الصالح إلى هذا. وأقام الرسول عندَه أياماً، ودخل عليه يوماً وهو قاعد على الأرض يبكي فقال له: ما لك؟ فقال: أخبرنا سيِّدنا المسيح أن الرجل الصالح إذا كان بين القوم السوء لم يلبث فيهم إلا يسيراً، ثم يخرجُه الله منهم[٢]. فقال له: وما الخبر؟ قال: مات العبد الصالح. قال: فقمتُ وقد يئستُ[٣] من خلاص الطحَّان. فقال: اذهب فخُذ الطحَّان، ما كنتُ لأجيبَه حيّاً وأخالفَه ميِّتاً[٤].

---

(١) أخرجه بنحوه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٥/ ٢٩٠ـ٢٩١. وأخرجه من طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٦٥/ ١٣ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة محمد بن معبد) ولم أقف على الخبر فيما لديّ من كتب ابن أبي الدنيا.

(٢) في (ص): من بينهم.

(٣) في (ص): أيست.

(٤) بنحوه في «سيرة عمر بن عبد العزيز» لابن عبد الحكم ص ١٤٨ـ١٤٩. ولم أقف عليه فيما لديّ من كتب ابن أبي الدنيا.

ذكر بكاء السماء عليه:

قال خالد الرَّبعي: قرأتُ في التوراة: إن السماء تبكي على عمر بن عبد العزيز أربعين صباحاً، أو أربعين سنة[١].

حديث السَّفَط:

قال عمر بن صالح الأزدي: سمعتُ شيخاً من أهل الشام قال: لما مات عمر بنُ عبد العزيز رضي الله عنه كان استودعَ مولًى له سَفَطاً يكون عنده، فجاؤوه فقالوا: السَّفَط الذي كان استودعَك عمر؟ فقال: ما لكم فيه خير. فأبَوْا، حتى رفعوا ذلك إلى يزيد بن عبد الملك، فدعا بالسَّفَط، ودعا بني أمية، وقال: حَبْرُكُم هذا قد وجدنا له سَفَطاً استودعه. ففتحوه، وإذا فيه مقطَّعات من مُسُوح كان يلبسُها في الليل.

وفي رواية: وكان فيه غُلٌّ ومِسْح[٢]، وأوصى مولاه أن يرميَه في البحر[٣].

ذكر أولادِه رضي الله عنه:

قال هشام والزُّبير بن بكَّار: كان له من الولد: عبد الملك، وإسحاقُ، ويعقوبُ، وموسى، وعبدُ الله، وعبدُ العزيز، وعبدُ الله الأصغر، وعاصمٌ، وزبَّان، ومحمد الأصغر، ويزيدُ، وبكر، وإبراهيم.

ومن الإناث آمنة، وأمُّ عمَّار.

فأما عبدُ الملك، فكان يسمى الناسك، وقد ذكرنا أنه مات في حياة أبيه، وأمُّه وأمُّ إسحاقَ ويعقوبَ: فاطمةُ بنتُ عبد الملك. وقال ابن سعد: أمُّه أمُّ ولد[٤].

وأمَّا عبدُ الله[٥] بن عمر؛ فأمُّه لميس بنتُ عليّ بن الحارث بن كعب.

---

(١) تاريخ دمشق ٥٤/ ٢١٠ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) الغُلّ: طوق من حديد يُغَلُّ به الشخص، والمِسْح: كساء من شعر، أو ثوب الراهب.

(٣) ينظر «أخبار عمر بن عبد العزيز» للآجري ص ٧٠ ، و«صفة الصفوة» ٢/ ١٢٠ .

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢٤ . وكذا قال البلاذري في «أنساب الأشراف» ٧/ ١٦١ ، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٣/ ١٦٩ (ترجمة عبد الملك بن عمر) ولم أقف على من ذكر أن أمَّه فاطمة بنت عبد الملك.

(٥) يعني الأكبر.

وأمُّ عمار بنتُ عمر أختُ عبد الله لأمّه وأبيه.

وكان عبدُ الله شجاعاً حازماً، وليَ العراقين ليزيد بن الوليد بن عبد الملك سنة ستٍّ وعشرين ومئة، فلما مات يزيد بن الوليد أراد أهلُ العراق أن يبايعوه بالخلافة، فأبى، فلما وليَ مروان اختفى عبد الله بواسط، فلما قدم عُمر بنُ هبيرة العراق قيَّده وبعثَ به إلى مروان بن محمد.

ويسمى عبدَ الله بنَ الأبَرّ، وهو الذي قال: مررتُ براهبٍ في الجزيرة في صومعة، لم ينزل منها منذ زمن طويل، وكان قد قرأ الكتب، فنزل إليَّ وقال: لم أنزل إلى غيرك، وإنما نزلتُ إليك لحقِّ أبيك، إنا نجده في كتُبِنا من أئمَّة العدل بمنزلة رجب من الأشهر الحرم[١].

وأمَّا عبدُ العزيز بن عمر؛ فكنيتُه أبو محمد لأمٍّ ولد، وسنذكرُه سنة تسع وأربعين ومئة.

وأما عاصم بن عمر فقتله الخوارج في سنة سبع وعشرين ومئة[٢].

وأما يزيد بن عُمر فحدَّثَ عن أبيه، وأبي سَلَمة، وكنيتُه أبو عَمرو[٣].

وأما آمنة[٤] بنت عمر؛ فإن عمر ﷺ مرَّ بها يوماً فدعاها، فلم تجبه، فأرسل إليها: ما منعك أن تُجيبي؟ فقالت: أنا عريانة. فقال عمر: يا مُزاحم، انظر إلى تلك الفُرُش التي فتقناها، فاقطع لها منه قميصاً. وبلغ عمَّتَها أمَّ البنين، فأرسلت إليها بتختٍ من ثياب، وقالت: لا تطلبي من أخي شيئاً.

وتزوَّج آمنةَ سفيان بنُ عاصم بن عبد العزيز، وكان ابنَ عمِّها، فحكى بعض أهل المدينة قال: إني لواقفٌ بالعقيق وقد جاء الحاجّ؛ إذ طلعت امرأةٌ أعجَبَنا حالُها، فلما حاذت قصورَ سفيان بن عاصم بن عبد العزيز؛ عدلَتْ إليها، فدخلَتْ القصور، فمكثَتْ

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٥٥ ، وتاريخ دمشق ٥٤/ ١٥٦ـ١٥٧ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٥٩٦ ، و«تاريخ» الطبري ٧/ ٣١٧ .

(٣) ينظر «تاريخ دمشق» ١٨/ ٣٤٩ (مصورة دار البشير) وفيه: حدث عن أبيه عن أبي سلمة، وقيل: عن أبي سلمة. ولم أقف على كنيته.

(٤) قال ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (تراجم النساء) ص ٤٤ : ويقال: أمينة.

ساعةً، ثم خرَجَتْ وذهبَتْ، فقلت: ألا تنظرون ما صنعت المرأة؟ فدخلتُ فإذا على الحائط مكتوب:

كَفَى حَزَناً بالوالِهِ الصَّبِّ أن يرى ... منازلَ من يهوى معطَّلةً قَفْرا
بلى إنَّ ذا الشوقَ الموكَّل بالهوى ... يزيدُ اشتياقاً كلَّما حاولَ الصَّبْرا

وتحته مكتوب: كتبته آمنة بنت عمر بن عبد العزيز[١].

ذكر فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر رضي الله عنه:

[قال الزبير بن بكَّار:] كانت أحظى نسائه عنده، وكانت موافقة له على الزهد والعبادة.

قال عُمارة بن غَزِيَّة: حضرتُ عُرس فاطمة على عمر [بن عبد العزيز] فكانوا يُسْرِجون القناديل بالغالية ودُهنِ البان عوض الزيت.

وكان على قبَّتها مكتوب:

بنتُ الخليفةِ والخليفةُ جدُّها ... أختُ الخلائفِ والخليفةُ بعلُها[٢]

قال الزُّبير بن بكَّار: لا يُعرف امرأةٌ تستحقُّ هذا البيت غيرُها، وكان لها ثلاثة عشر محرماً كلُّهم خليفة[٣]: جدُّها مروان بنُ الحكم، وأبوها عبدُ الملك، وإخوتُها الأربعة الوليدُ، وسُليمان، ويزيد، وهشام، وهي عمَّة ثلاثة من الخلفاء: الوليد بن يزيد، ويزيد ابن الوليد، وإبراهيم بن الوليد، وجدُّها لأمها يزيد بنُ معاوية[٤]، وزوجُها عمر بنُ عبد العزيز، ولم يتفق هذا لغيرها فيما تقدَّم[٥].

---

(١) المصدر السابق. ولم ترد هذه الفقرة (يعني ذكر أولاده) في (ص).

(٢) تاريخ دمشق (تراجم النساء ـ طبعة مجمع دمشق) ص ٢٩١ـ٢٩٢ وما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٣) تعقَّب أبو شامة هذا الكلام بقوله: هذا مبنيّ على أصل فيه خلل. وهو أنَّ فاطمة بنت عبد الملك ليست أمها عاتكة بنت يزيد بن معاوية... وانظر ما يلي.

(٤) إنما جدُّها لأمِّها المغيرةُ بنُ خالد بن العاص بن هشام. وأمُّ فاطمة بنت عبد الملك هي أمُّ المغيرة بنت المغيرة المذكور، وليست أمّها عاتكة بنت يزيد بن معاوية. نبَّه على هذا أبو شامة في «الروضتين» ١/ ٢٣٢. يعني فيكون لها عشرة محارم من الخلفاء. . . .

(٥) اتفق نحوه لعاتكة بنت يزيد، كما سلف في ترجمتها. ونقص من كلامه أعلاه (وعلى أصله) ذكر اثنين: معاوية جدّ أمها، ومعاوية بن يزيد خالها. ومن قوله: جدُّها مروان... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

قال ابن عساكر: فاطمة بنت عبد الملك [بن مروان] كانت لها دار بدمشق بالعقيبة، خارج باب الفراديس، كان يكون بها العميان[١].

ولما مات عمر ﷺ قالت لأخيها مَسْلَمة: إني قد اشتهيتُ أن أجد رائحةَ الولد. فقال لها: ويحك! بعد أمير المؤمنين؟! قالت: لابدّ. قال: لأَشُورَنَّ[٢] بك الأزواج. فقالت: قد تَشَوَّرْتُ[٣] منهم داودَ بنَ بشر بن مروان.

وكان داود أعور قبيح المنظر فقال الأحوص:

أَبَعْدَ الأغَرِّ بنِ عبدِ العزيز ... قريعِ قريشٍ إذا يُذكرُ

تزوَّجتِ[٤] داودَ مختارةً ... ألا ذلك الخَلَفُ الأعورُ

فقال الناس: هذا الخَلَف الأعور.

[وقال الجوهري: الشَّوار؛ بالتخفيف: فرجُ الرجل والمرأة، يقال: شوَّر به، أي: كأنه أبدى عورتَه.

وقيل: إنما تزوَّجت سليمان بن داود بن مروان.

قلت: والأصحّ داود بن بشر بن مروان].

وقال المصنِّف رحمه الله: وقد اتفق لربيعة خاتُون بنتِ أيوب أختِ صلاح الدين رحمه الله مثلُ هذا، فإنه ملكَ الشامَ ومصر واليمن والجزيرة منهم عدةُ ملوك كانوا لها محرماً[٥].

وفاطمة بنت عبد الملك ممَّن حدَّثت بالشام، وحكت عن زوجها عمر ﷺ، وروى عنها عطاء، ومُزاحم مولى عمر، وأخوها مسلمة، وزُفر مولى مسلمة، وغيرُهم.

---

(١) تاريخ دمشق (تراجم النساء) ص ٢٩٠.

(٢) كذا في (خ) واللفظة غير مجوّدة في (ص) (والكلام منهما). وفي «اعتلال القلوب» للخرائطي ص ٢١١: لأتشوَّرنَّ. وفي «الوافي بالوفيات» ١٣/ ٤٦٠: لأتسوَّرنَّ (بالسين المهملة)، وفي «تهذيب تاريخ دمشق» ٥/ ١٩٩: لا تسوري. وينظر كلام الجوهري آخر الخبر.

(٣) في «الوافي بالوفيات» و«تهذيب تاريخ دمشق»: تسورت.

(٤) في «اعتلال القلوب»، و«تهذيب تاريخ دمشق»: تبدَّلتِ.

(٥) ينظر «الروضتين في أخبار الدولتين» ١/ ٢٣١. والكلام السالف بين حاصرتين من (ص).

ذكر حاجبه وقاضيه وصاحب شرطته ﷺ:

كان حاجبه رجاء بن حَيْوة، وصاحب بيت المال مُزاحم مولاه، وقاضيه عبد الله بن يزيد بن حداس[١] الصنعاني وكنيتُه أبو مسعدة، وقيل: أبو مسعود؛ ولّاه عمر بن عبد العزيز ﷺ القضاء على مصر سنة مئة، فأقام إلى سنة خمس ومئة، ثم صرف ولم يرزق على القضاء ديناراً ولا درهماً، فلما أراد الخروج من مصر كان عنده جوربان من اليمن، فباعهما وتصدَّق بثمنهما، وخرج من مصر مجرَّداً.

وكان صاحب حرسه مالك بن زياد[٢].

وقيل: إن عمر رضي الله عنه استقضى على الشام عُبيد الله بن سعيد الأملي[٣]، وكان صاحب شرطته كعب بن حامد[٤]، ثم رَوْح بن يزيد السكسكي[٥].

وقال ابن سعد: كان عمرو بن المهاجر صاحب حرس عمر بن عبد العزيز ﷺ، ومات سنة ست وثلاثين ومئة[٦].

ذكر مواليه:

منهم مُزاحم بن أبي مزاحم من سَبْي البربر، سكن مكة، وكان زاهداً عابداً ورعاً، وكان عمر ﷺ يُحبُّه ويُثني عليه ويقول له: يا مُزاحم، إن الخلفاء تركوا العيون على الولاة، وأنا تركتُك عيناً على نفسي.

وقال عمر ﷺ: أوَّلُ من أيقظني لهذا الشأن مزاحم؛ حبستُ رجلاً، فأطلتُ حبسَه، فكلَّمني في إطلاقه، فقلتُ: ما أنا مخرجه حتى أؤدِّبَه. فقال: يا عمر، أُحذِّرُك ليلة تمخَّض

---

(١) كذا في (خ) (والكلام منها). وفي «فتوح مصر» لابن عبد الحكم: حذافر.

(٢) ينظر «تاريخ دمشق» ٦٦/ ١٠٨ (طبعة مجمع دمشق).

(٣) كذا في (خ) (والكلام منها) ولم أعرفه. وينظر ترجمة عبيد الله بن سعيد الأموي في «تاريخ دمشق» ٤٤/ ٢٥١ فلعله هو.

(٤) تاريخ داريا ص ٩٠ ، وتاريخ دمشق ٥٩/ ٣٤٨ وهو كعب بن حامد العنسي، قال ابن عساكر: ويقال: حامز.

(٥) في (خ) (والكلام منها): العبسي. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٧/ ١٤٥ ، و«تاريخ» اليعقوبي ٢/ ٣٠٨ ، و «تاريخ دمشق» ٦/ ٣٠٥ (مصورة دار البشير). ووقع في الأخير وفي «تهذيبه» لابن بدران ٥/ ٣٤٣ أنه كان على شرطة محمد بن عبد العزيز، وهو خطأ.

(٦) في «طبقات» ابن سعد ٩/ ٤٦٦ أنه مات سنة تسع وثلاثين ومئة.

بالقيامة، ولقد كدتُ أنسى اسمك ممَّا أسمع الناس يقولون: قال الأمير. قال عمر رضي الله عنه: فكأنما كشف عني غطاء، فذكِّروا أنفسكم، فإن الذِّكرى تنفعُ المؤمنين[١].

قال الواقدي: مات عبد الملك بن عُمر أولاً، ثم سَهْل أخو عمر، ثم مولاه مزاحم، ثم عُمر رضي الله عنه، وكان مُزاحم عَوْناً لعمر على أمره[٢].

وقال عمر: ما مزاحم بأدنى الثلاثة عندي، ولقد كان وزير صدق.

حكى عنه عمر، والزُّهري[٣]، وعُيَيْنَة والد سفيان، وابنُ جُريج، وابنُه سعيد بنُ مُزاحم، وغيرُهم[٤].

ومنهم[٥] سابق بن عبد الله البربري[٦]، وكنيتُه أبو سعيد، وكان أحدَ الزُّهَّاد البكَّائين والشعراء المبرّزين، وأكثر شعره في الزُّهد والرقائق، كان يُنشد عمر رضي الله عنه وعُمر يبكي.

[وروى ابن أبي الدنيا عن ميمون بن مهران قال:] دخل [سابق البربري] على عمر رضي الله عنه فقال له: أنشدني، فقال:

فكم من صحيحٍ باتَ للموتِ آمناً ... أَتَتْهُ المنايا بغتةً بعد ما هَجَعْ
فلم يستطعْ إذْ جاءه الموتُ بغتةً ... فراراً ولا منه بقوَّتِهِ[٧] امْتَنَعْ
فأصبحَ تبكيه النساءُ مقنَّعاً ... ولا يَسمعُ الداعي وإنْ صوتَه رَفَعْ
وقُرِّبَ من لَحْدٍ فصارَ مقيلَهُ ... وفارقَ ما قَدْ كان بالأمسِ قد جَمَعْ
فلا يتركُ الموتُ الغنيَّ لِمالِهِ ... ولا مُعْدِماً في المال ذا حاجة يَدَعْ

فلم يزل عمر رضي الله عنه يبكي ويضطرب حتى غُشِيَ عليه [فقمنا وتركناه][٨].

---

(١) تاريخ دمشق ٦٧/ ٦٢ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) ينظر «حلية الأولياء» ٥/ ٣٥٦ـ٣٥٧ (ترجمة عبد الملك بن عمر)، و«تاريخ دمشق» ٦٧/ ٦٣ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة مزاحم).

(٣) كذا في (خ) (والكلام منها). والذي في المصدر السابق، و«تهذيب الكمال» ٢٧/ ٤٢٠ أنه يروى عن عمر، وأن الزهري والمذكورين بعده يروون عنه.

(٤) من قوله: وقال المصنف: وقد اتفق لربيعة... إلى هذا الموضع، مع شعر الأحوص قبله، ليس في (ص).

(٥) أي: من موالي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. قال الصفدي في «الوافي بالوفيات» ١٥/ ٦٩: قيل: هو مولى عمر، وقيل: مولى الوليد.

(٦) قال ابن الأثير في «اللباب» ١/ ١٣٢ الصحيح أن سابقاً البربري ليس منسوباً إلى البَرْبَر، وإنما هو لقبٌ له.

(٧) في رواية أخرى في «تاريخ دمشق» ٧/ ٥ (مصورة دار البشير): بحيلته.

(٨) حلية الأولياء ٥/ ٣١٨، وتاريخ دمشق ٧/ ٥ (مصورة دار البشير).

وله:

إذا أنتَ لم تَرْحَلْ بزادٍ من التُّقَى ... ووافيتَ بعدَ الموتِ مَنْ قد تَزَوَّدَا
ندمتَ على أن لا تكونَ شَرَكتَهُ ... وأرْصَدْتَ قبلَ الموتِ ما كانَ أرْصَدَا[1]

[وله]:

أموالُنا لذوي الميراث نجمَعُها ... ودُورُنا لخراب الدهرِ نبنيها
والنفس تَكْلَفُ بالدنيا وقد عَلِمَتْ ... أنَّ السلامة فيها تركُ ما فيها[2]

روى سابق عن ربيعة بن عبد الرحمن، وداود بن أبي هند، ومكحول، وغيرهم.

قال ميمون بن مهران: دخل سابق على عمر رضي الله عنه، فقال له: عِظْني. فقال ـ وهي أبيات طويلة منها ـ:

باسم الذي أُنزلَتْ من عنده السُّوَرُ ... والحمدُ للهِ أمَّا بعدُ يا عمرُ
فما صفا لامرىءٍ عيشٌ يُسَرُّ به ... إلا سيَتْبَعُ يوماً صفْوَهُ كَدَرُ
والذِّكر[3] فيه حياةٌ للقلوب كما ... يُحيي البلادَ إذا ما ماتَتِ المطرُ[4]
لا ينفعُ الذِّكرُ قلباً قاسياً أبداً ... وهَلْ يلينُ لقلبِ الواعظِ الحجرُ
ولا أرى أثراً للذِّكر في جسدي ... والحَبْلُ في الجَبَل القاسي له أثرُ
لا يُشْبِعُ النفسَ شيءٌ حتى تُحرِزَه ... ولا يَزالُ لها في غيره وَطَرُ
ولا يزالُ وإن كانَتْ لها سَعَةٌ ... لها إلى الشيءِ لم تظفر به نَظَرُ
أبَعْدَ آدمَ ترجُون البقاءَ وهَلْ ... تبقى فروعٌ لأصلٍ حين ينقعرُ[5]

وقال أبو أحمد الحاكم: كان سابقٌ إمامَ مسجد الرقَّة، وقاضي أهلها.

ومن شعره:

---

(١) المصدران السابقان، وجاء هذان البيتان باختلاف يسير ضمن قصيدة للأعشى في «ديوانه» ص ١٨٧.

(٢) تاريخ دمشق ٧/ ٣ (مصورة دار البشير).

(٣) في «تاريخ دمشق» ٧/ ٤: والعلمُ.

(٤) قال الزَّبيدي في «تاج العروس» (موت): من المجاز: مات الماء بهذا المكان: إذا نشَّفَتْه الأرض. ووقع في «تاريخ دمشق» ٧/ ٤: مسَّها المطر.

(٥) ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٨٣، و تاريخ دمشق ٧/ ٤، و«التبصرة» ١/ ١٠١ـ١٠٢.

وللموت تَغْذُو الوالدتُ سِخَالَها ... كما لخراب الدَّهْرِ تُبْنَى المساكنُ
فلا تَغْتَرِرْ ما عِشْتَ من مُتَجَمِّلٍ ... بظاهر وُدٍّ قد تُغطَّى البطائنُ

[وله]:

تأوَّبَني هَمٌّ كثيرٌ بَلابِلُهْ ... طروقاً فغالَ النومَ عني غَوائلُهْ[1]
فَوَيْحِي من الموتِ الذي هو واقعٌ ... ولِلموتِ بابٌ أنتَ لا بدَّ داخلُهْ
ولم أرَ في الدنيا وذو الجهلِ غافلٌ ... أسيراً يخافُ القتلَ واللهوُ شاغلُهْ
ولا يَرْتَجِي عوناً على حَمْلِ وِزْرِهِ ... مسيءٌ وأولى الناسِ بالوِزْرِ حاملُهْ
ويغسلُ ما بالجلدِ من ظاهر الأذَى ... ولا يغسلُ الذنبَ المخالفَ غاسلُهْ
ومَنْ تُفْلِتِ الأمراضُ يوماً فإنَّهُ ... سيوشكُ يوماً أن تُصابَ مَقَاتِلُهْ
إذا العلمُ لم تعملْ به صارَ حُجَّةً ... عليك ولم تُعْذَرْ بما أنتَ جاهلُهْ
أرى الغُصْنَ[2] لا يَنْمِي إذا اجتُثَّ أصلُهُ ... وليس بباقٍ مَنْ أُبِيحَتْ أوائلُهْ
وتطلبُ في الدنيا المنازلَ والعُلا ... وتَنْسَى نعيماً دائماً لا تُزايلُهْ
كمن غَرَّهُ لَمْعُ السَّرابِ بقَفْرةٍ ... فقصَّر عن وردٍ تَجِيشُ مناهلُهْ
وإنْ فَرِحَتْ بالمرء يوماً حلائلٌ ... فلا بدَّ يوماً أن تُرِنَّ حلائلُهْ[3]

من أبيات.

ذكر مسانيد عمر:

أسند عمرُ رحمة الله عليه الحديثَ عن جماعة من الصحابة، منهم: عبد الله بن عمر، وأنس بن مالك، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعمر بن أبي سلمة، والسائب بن يزيد، ويوسف بن عبد الله بن سلام.

وأرسل الحديث عن عبادة بن الصامت، والمغيرة بن شعبة، وتميم الداري، وعائشة رضوان الله عليها، وأمِّ هانىء.

---

(١) تأوَّبَني: عاودني، والبلابل: جمع بَلْبَال، وهو شدة الهمّ والوَسواس، وغالَ: أخذ. والغوائل، جمع غائلة، وهي الداهية.

(٢) في (خ) (والكلام منها): أرى العلم. والمثبت من «تاريخ دمشق» ٧/ ٧.

(٣) تُرِنّ، أي: تنوح، وحلائل جمع حليلة، وهي الزوجة.

وروى عن خلق من التابعين: ابن المسيِّب، وسالم بن عبد الله بن عمر، وأبي سلمة، وعروة بن الزُّبير، وعُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وخارجة بن زَيْد، وعامر بن سعد بن أبي وقَّاص، وأبي بُرْدَة بن أبي موسى، وأبي حازم، والزُّهري، وعِراك بن مالك، ومحمد بن كعب القُرَظي، في آخرين.

وروى عنه أبو سلمة بنُ عبد الرحمن ـ وهو أكبر منه ـ ومحمد بنُ المنكدر، وابناه عبدُ الله وعبدُ العزيز ابنا عمر، ومَسْلَمة بن عبد الملك، وأخوهُ زَبَّان بن عبد العزيز، وحُميد الطويل، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وأبو بكر بن محمد بن عَمرو بن حزم، وإبراهيم بن أبي عبلة، ورجاء بن حَيْوة، وغيرهم[١].

انتهت ترجمة عمر بن عبد العزيز[٢].

[ومن الذين دخلوا على عمر بن عبد العزيز:]

عُمر بن عبد الله بن أبي ربيعة حُذيفة

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم الشاعر، وكنيته أبو الخَطَّاب.

[قال الزبير:] وُلد في الليلة التي قُتلَ فيها عمر بنُ الخطاب رضوان الله عليه.

كانت العرب تُقِرُّ لقريش بالتقدُّم عليها في كلِّ شيء إلا الشعر، فلما كان عُمر أقرَّت لها بالشعر أيضاً[٣].

وكان عُمر شاعراً مُفْلِقاً فصيحاً، غير أنهم نَهَوْا عن شعره وقالوا: هو رُقية الزِّنى[٤].

وكان كثير التشبيب بالنساء قلَّ أن يرى امرأة إلا شبَّب بها، وكان يحبُّ زيارتهنَّ ومجالستهنَّ؛ شبَّب بالثُّريَّا [وإليه تنسب] وبسُكَيْنة بنت الحسين، وفاطمة بنت عبد

(١) ينظر «تاريخ دمشق» ٥٤/ ١٠١، و«تهذيب الكمال» ٢١/ ٤٣٤ـ٤٣٦.

(٢) من قوله (في الشعر): إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٣) المنتظم ٦/ ٣١٣ (وذكر ابنُ الجوزي الترجمة فيه فيمن توفي سنة ٩٣).

(٤) لم أقف عليه، وهذا الكلام من (خ)، ومن قوله: كانت العرب تقرُّ لقريش... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

الملك بن مروان، وأكثرُ تشبيبه بالثُّريَّا، فلما تزوَّجها سهيلُ بن عبد الرحمن بن عوف، وحُملت إليه من الشام إلى مكة قال عمر:

أيُّها المُنْكِحُ الثُّريَّا سُهيلاً ... عَمْرَكَ اللهَ كيفَ يجتمعانِ[1]

هي شاميَّةٌ إذا ما اسْتَقَلَّتْ ... وسُهَيْلٌ إذا اسْتَقَلَّ يماني

[وقال إسحاق الموصلي:]

وكانت الثُّريَّا من أجمل النساء وأكملهن، وهي بنت عبد الله بن محمد بن الحارث ابن أمية الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف وكانت من أحسن النساء خَلْقاً وخُلُقاً، تأخذ الجرَّة من الماء، فتُفْرِغُها على رأسها، فلا يصيب باطنَ[2] فخذها منها قطرة؛ لعِظَم كَفَلِها.

وكان عُمر بنُ عبد الله يجتمعُ بها ويخلوانِ ويناشدُها الأشعار، فحجَّ مرَّةً، فقيل له: قد كنتَ تخلو بالثُّريَّا. فقال: برئتُ من ربِّ هذه البَنِيَّة ـ وأشار إلى الكعبة ـ إن كنتُ هممتُ بالثُّريَّا أو حَلْتُ إزاري على حرام قطّ[3].

ومن شعره في سُكَيْنةَ قولُه:

قالَتْ سُكَيْنَةُ والدموعُ ذوارفٌ ... منها على الخدَّيْنِ والجِلبابِ[4]

أسُكَيْنُ ما ماءُ الفراتِ وطِيبُهُ ... منَّا على ظمأٍ وحُبِّ شرابِ

بألذَّ منكِ وإنْ نأيْتِ وقلَّما ... تَرْعَى النِّساءُ أمانةَ الغُيَّابِ

وقال في فاطمة بنت عبد الملك:

افْعلي بالأسيرِ إحدى ثلاثٍ ... وافْهَمِيهِنَّ ثمَّ رُدِّي جوابي

---

(١) في «الأغاني» ١/ ١٢٢ وغيره: يلتقيان. وينظر «جمهرة نسب قريش» ٢/ ٥٤٨، و«المنتظم» ٦/ ٣١٥.

(٢) كذا في «تاريخ دمشق» كما في «مختصره» ٥/ ٣٥٣. وفي «الأغاني» ١/ ٢٢٤: ظاهر.

(٣) ينظر المصدر السابق و«المنتظم» ٦/ ٣١٥. ومن قوله (بعده): ومن شعره في سكينة... إلى آخر هذه السنة (١٠١) ليس في (ص).

(٤) بعده في «الديوان» ص ٤٣٥، ولابدَّ منه، ولم يرد في (خ) والكلام منها:

ليت المغيريَّ الذي لم نَجْزِهِ ... فيما أطال تصيُّدي وطِلابي

كانت تَرُدُّ لنا المُنى أيامَنا ... إذ لا نُلام على هوًى وتَصابي

اقْتُلِيهِ قَتْلاً سريعاً مُرِيحاً ... لا تكوني عليه سَوْطَ عذابِ
أو أقيدي فإنَّما النَّفْسُ بالنَّفْـ ... ـسِ قضاءً مُفصَّلاً في الكتابِ
أو صِليهِ وَصْلاً تَقَرُّ به العَيْـ ... ـنُ وَشرُّ الوِصالِ[1] وَصْلُ الكِذَابِ

فأعطت الذي جاء بالأبيات أربعين ديناراً؛ لكلِّ بيت عَشَرةُ دنانير.

قال الزُّبير بنُ بكَّار: أنشدَ ابنُ أبي عتيق سعيدَ بنَ المسيب قولَ عمر:

أيُّها الراكبُ[2] المُجِدُّ ابتكارا ... قَدْ قَضَى من تِهامةَ الأَوْطارا
إنْ يَكُنْ قلبُك الغَداةَ خَلِيّاً[3] ... ففؤادي بالخَيْفِ أمسى مُعَارا
ليتَ ذا الحجَّ كان حَتْماً علينا ... كلَّ يومَيْنِ[4] حَجَّةً واعْتمارا

فقال ابن المسيِّب: لقد كلَّفَ المسلمين شَطَطاً. قال ابنُ أبي عَتِيق: فقلتُ له: في نفس [الجمل شيءٌ غيرُ ما في نفس سائقه].

ومن شعره:

ولمَّا تفاوَضْنا الحديثَ وأسْفَرَتْ[5] ... وجوهٌ زهاها الحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعا
وقلتُ لمُطْريهنَّ[6] ويحكَ إنما ... ضَرَرْتَ فهل تَسْطِيعُ نَفْعاً فتنفَعَا
تَبَالَهْنَ بالعِرْفان لَمَّا عَرَفْنَنِي ... وقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أَكَلَّ وأوْضَعا
وقَرَّبْنَ أسبابَ الهوى لمُتَيَّمٍ ... يقيسُ ذراعاً كلَّما قِسْنَ إصْبَعا

قال محمد بن سلام: كان عمر عفيفاً، يصف ويقف، ويحومُ ولا يَرِدُ[7].

---

(١) كذا في «المنتظم» ٦/ ٣١٤ . وروايته في «الديوان» ص ٤١٧ : وصلاً يقرُّ عليه إن شرَّ الوِصال...

(٢) في «الديوان» ص ٤٩٣ : أيها الرائح. وينظر «الأغاني» ٢/ ٣٦٢ .

(٣) في «الديوان»، و«الأغاني» ١/ ١٦٧ : مَنْ يكُنْ قلبُه صحيحاً سليماً. وفي رواية في «الأغاني» ٢/ ٣٦٢ : مَنْ يكن قلبُه الغداة خليّاً. وفي «تاريخ دمشق» ٥٤/ ٨٦ : إن يكن قلبُك الغداةَ جليداً وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٤) كذا في «الأغاني» ١/ ١٦٧ ، و«تاريخ دمشق» ٥٤/ ٨٦ . وفي «الديوان»، و«الأغاني» ٢/ ٣٦٢ : شهرين.

(٥) كذا روايته في «الحماسة» كما في «شرحها» للتبريزي ٣/ ١٢٧ . وروايته في «الديوان» ص ١٧٩ ، و«الأغاني» ١/ ١٧٧ و٨/ ١٤٤ : فلما توافَقْنا وسلَّمتُ أشرقَتْ، وفي «الأغاني» ٦/ ٣٢٤ : أقبلت، بدل: أشرقت.

(٦) أي: مادِحِهنّ. قال التبريزي: يقال: أطرى فلانٌ فلاناً: إذا مدحَه بأحسن ما قَدَرَ عليه.

(٧) هو في «الأغاني» ١/ ١١٩ ، و«تاريخ دمشق» ٥٤/ ٧١ من قول الزُّبير بن بكَّار. وينظر «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٦٤٨ .

وعاش سبعين سنةً، ولما احتُضر قال: واللهِ ما حللتُ إزاري على حرام قطّ.

وقال الهيثم: رأى امرأةً في الطواف فكلَّمها فلم تكلِّمه، وكان معها زوجُها، فقال:

اللهُ بيني وبين قَيِّمِها يَفِرُّ منِّي بها وأتَّبِعُهْ

فقالت المرأة: بل اللهُ بين قيِّمها وبينك، فقيل للمرأة: اشكوه إلى زوجك. فقالت: لا والله، لا أشكوه إلا إلى الله في مثل هذا المقام، اللهم اجْعَلْه طعاماً للريح. فركب يوماً فرساً، فدخلت الريح في ثيابه، فسقطَ ميِّتاً[1].

ذُو الرُّمَّة الشاعر

كنيتُه أبو الحارث[2]، واسمُه غَيْلان بنُ عُقبة بن بُهَيْش بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب العَدَويّ.

وهو من الطبقة الثانية من شعراء الإسلام، وكان يُشَبِّبُ بمَيّ بنت طَلَبَة[3] بن عاصم المِنْقَري، ثم بخَرْقَاء بنت عامر بن ربيعة.

وكان سببُ ذلك أنه مرَّ في بعض أسفاره بحيٍّ خَرْقَاء، فرآها قد خرجت من الخِباء، فوقعَتْ في قلبه، فخَرَّقَ إداوتَه[4] استطعاماً لكلامها، ثم قال لها: إني رجلٌ على سفر وقد تخرَّقَتْ إداوتي، فأصلحيها. فقالت: أما علمتَ أني خَرْقاء. والخَرْقاءُ لا تُحسنُ العملَ لكرامتها على أهلها[5].

وكانت الخَرْقاء تقعد للناس في طريق مكة، فإذا قفلُوا تقول لهم: أنا أحدُ مناسِكِكُم، فإذا قالوا: وكيف؟ تقول: أنا صاحبةُ ذي الرُّمَّة التي يقول فيها:

---

(١) لم أقف على هذا السياق. وفي خبر بنحوه في «المنتظم» ٦/ ٣١٦ نُسب فيه البيت للأحوص. وينظر «أنساب الأشراف» ٣/ ٥٣ (ترجمة عبد الله بن عباس) ونُسب فيه البيت أيضاً للأحوص.

(٢) أورده المصنف في وفيات هذه السنة تبعاً لابن الجوزي في «المنتظم» ٧/ ٧٢ . وجاء في باقي المصادر أنه توفي سنة (١١٧).

(٣) في (خ) (والكلام منها) و«المنتظم» ٧/ ٧٢ : طلحة، والمثبت من «الأغاني» ١٨/ ٢٥ ، و«تاريخ دمشق» ١٤/ ١٧١ (مصورة دار البشير)، وكذا هي في «مختصره» ٢٠/ ٢٣٣ . وينظر «الشعر والشعراء» ١/ ٥٢٦ .

(٤) الإداوة: إناء صغير يُحمل فيه الماء.

(٥) الشعر والشعراء ١/ ٥٢٧ ، وتاريخ دمشق ١٤/ ١٧٢ (مصورة دار البشير)، والمنتظم ٧/ ٧٣ .

تمامُ الحجِّ أن تقفَ المطايا على خَرْقاءَ واضعةِ اللِّثامِ
وتكشفُ عن لثامها[١].

قال القحذمي: دخلَ ذو الرُّمَّة الكوفة، فبينا هو يسير في شوارعها إذ رأى جاريةً سوداءَ واقفةً على باب دار، فاستحسنَها ووقعت بقلبه، فاستسقى ماءً، فأخرجَتْ له كوزاً فشرب، وأراد أن يمازحها، فقال لها: يا جارية، ما أحرَّ ماءَكِ! فقالت: لو شئتَ لأقبلتَ على عيوب شِعركِ، وتركتَ حَرَّ مائي وبَرْدَه. فقال: وأيُّ شِعْري فيه عيب؟! قالت: ألستَ ذا الرُّمَّة؟! قال: بلى. فقالت:

وأنت الذي شَبَّهْتَ عنزاً بقفرةٍ لها ذَنَبٌ فوقَ اسْتِها أمَّ سالمِ
جعلتَ لها قَرْنَيْنِ فوقَ جبينِها وطِبْيَيْنِ[٢] مُسْوَدَّيْنِ مثلَ المحاجمِ[٣]
وساقَيْنِ إن يستمسكا منكَ يتركا لساقيكَ يا غيلانُ مثلَ المياسمِ[٤]
أيا ظَبْيَةَ الوَعْساءِ بينَ جُلاجلٍ وبينَ النَّقا[٥] آأنتِ أمْ أمُّ سالمِ

قال: فنزل ذو الرُّمَّة عن راحلته وقال: أنشدك الله إلاَّ ما أخَذْتِيها وما عليها، ولا تذكرين هذا لأحد. فقالت: خُذْ راحلتَك وانصرف راشداً، فلا ذكرتُه لأحد[٦].

قال المنتجع بن نبهان: كنت عند ذي الرُّمَّة وقد احتُضر، فلما أحسَّ بالموت بكى وقال: ما ظنُّك بي؟ قلت: أنت أعلم بما جرى بينك وبين مَيَّة. فقال: لا نالتني شفاعةُ محمد ﷺ إن كنتُ هَمَمْتُ بها بريبة قطّ، ولقد كنتُ هائماً بها عشرين سنة.

---

(١) ينظر «الأغاني» ١٨/ ٣٨ و٤٠ ، و«تاريخ دمشق» ١٤/ ١٧٢ ، و«المنتظم» ٧/ ٧٣ .

(٢) الطِّبْيُ: حلمة الضَّرْع التي فيها اللبن. وفي «تاريخ» ابن عساكر: ووَطْبَيْن، والوَطْبُ: الثدي العظيم.

(٣) جمع مِحْجم، وهي القارورة التي يجمع فيها دم الحِجامة.

(٤) في «المنتظم» ٧/ ٧٣ : وساقين إن يستمكنا منك يتركا... بجلدك يا غيلان مثل المناسم، وروايته مختلفة في «الأغاني» ١٨/ ٢٣ (والخبر فيه بنحوه).

(٥) الوَعْساء: أرض بحضرموت، وجُلاجل ـ بضم الجيم، وتقال بالمهملة ـ أرض باليمامة، والنَّقَا: الكثيب من الرمل. وقال ابن الجواليقي: اسم موضع. وينظر «معجم البلدان» ٢/ ١٤٩ و٢٨٠ و٥/ ٣٧٩، و«معجم ما استعجم» ٢/ ٣٨٨ ، و«الروض المعطار» ص ٦١١ . وينظر هذا البيت في «ديوان» ذي الرُّمَّة ٢/ ٧٦٧ .

(٦) تاريخ دمشق ١٤/ ١٧٧ـ١٧٨ (مصورة دار البشير)، و«المنتظم» ٧/ ٧٦ـ٧٧ .

وقيل: تأخَّر موتُه إلى أيام هشام بن عبد الملك، وتوفي وهو خارج إليه فدُفن بِحُزْوَى[١].

وقال المنتجع: كنتُ مع ذي الرُّمَّة، فلمَّا أحسَّ بالموت قال: يا منتجع، مثلي لا يُدفنْ في غُمُوضٍ[٢] من الأرض، ولا في بطون الأودية، فإذا متُّ فادفنِّي في رأس فِرِنْداذين[٣]. فدفتُه به، فهناك قبرُه.

ولما احتُضر قال: أنا ابنُ نصف الهَرَم [أنا ابنُ أربعين سنة] وقال:

يا ربِّ قد أشرقَتْ نفسي وقد علمَتْ ... علماً يقيناً لقد أحصيتَ آثاري
يا مُخْرِجَ الرُّوحِ من جسمي إذا احْتُضِرَتْ ... وفارجَ الهَمِّ زَحْزِحْني عن النَّارِ[٤]

ولما سمع الفرزدق شعره قال: ما أحسنَ ما تقول! فقال ذو الرُّمَّة: فما لي لا أُعَدُّ في الفحول؟ فقال الفرزدق: لتقصيرك عن غاياتهم[٥].

ولم يكن لذي الرُّمَّة حظٌّ في الهجو.

حدَّثَ ذو الرُّمَّة عن ابن عباس، ووفدَ على الوليد بن عبد الملك، وروى عنه أبو عَمرو بنُ العلاء.

وكان له ثلاثةُ إخوة يقولون الشعر: مسعود، وهشام، وخرقاش، بنو عقبة.

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضوان الله عليه

كنيتُه أبو محمد، وكان أحدَ الفقهاء السبعة بالمدينة، وهو من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة.

---

(١) الأغاني ١٨/ ٤٢ ، وتاريخ دمشق ١٤/ ١٨١ . قال أبو الفَرَج: حُزْوَى: هي الرَّملة التي كان يذكرها في شعره. وقال ياقوت في «معجم البلدان» ٢/ ٢٥٥ : موضع بنجد في ديار تميم.

(٢) جمع غَمْض، وهو المنخفِض من الأرض انخفاضاً شديداً حتى لا يُرى ما فيه.

(٣) نقل ياقوت في «معجم البلدان» ٤/ ٢٥٦ـ٢٥٧ عن أبي منصور قوله: فِرِنْداذ: جبل بناحية الدَّهْناء (رمال في طريق اليمامة إلى مكة) وبجذائه جبل آخر يقال لهما: الفِرِنْداذان... ثم أورد خبر وفاته بنحوه. ولم تجوَّد اللفظة في (خ) (والكلام منها) ووقع في «المنتظم» ٧/ ٧٧ : فريدادين (والخبر فيه).

(٤) ينظر «الشعر والشعراء» ١/ ٥٢٥ ، و«الأغاني» ١٨/ ٤٢ و٤٤ ، و «تاريخ دمشق» ١٤/ ١٨٠ (مصورة دار البشير). ومابين حاصرتين منها.

(٥) الشعر والشعراء ١/ ٥٢٤ ، والمنتظم ٧/ ٧٢ .

وأمُّه أمُّ ولد يقال لها: سَوْدَة، وقيل: أمُّ عبد الله، قُتل أبوه محمد قريباً من سنة ستٍّ وثلاثين بعد قتل عثمان رضوان الله عليه، وبقي القاسم يتيماً في حجر عائشة رضوان الله عليها[١]. وكان أشبهَ الناسِ بأبي بكر الصديق رضوان الله عليه.

قال: كانت عائشة تَحْلِقُ رؤوسَنا عشيَّةَ عرفة، ثم تُخلِّقُنا وتبعث بنا إلى المسجد، ثم تُضَحِّي عنَّا من الغد[٢].

قال رجل للقاسم: أيُّما أفقهُ أنتَ أم سالمُ بن عبد الله؟ فقال: ذاك منزلُ سالم. لم يزدْه على ذلك، كره أن يقول: سالم أعلمُ منّي فيخطىء، وكره أن يقول: أنا أعلم، فيزكّي نفسه[٣].

والقاسم الذي قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: لو كان إليَّ من الأمر ما عَدَلْتُ عن الأعمش[٤]. وعُمر قال ذلك قبل أن يذهب بصر القاسم.

وبعث إليه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بألف دينار فردَّها تورُّعاً.

وقال أيوب: لقد ترك القاسم مئة ألف وهي له حلال[٥].

وكان يصبغ رداءه بالزَّعفران، وكان يلبس جُبَّة خَزّ، وما كان يُجيبُ إلا في الشيء الظاهر[٦].

وكان يخضبُ رأسَه ولحيتَه بالحِنَّاء[٧].

وقال: كفِّنُوني في ثيابي التي كنتُ أُصلِّي فيها؛ قميصي وإزاري وردائي. فقال له ابنُه: يا أبة، ألا تريد ثوبين؟ فقال: يا بُنّي، هكذا كُفِّن أبو بكر في ثلاثة أثواب، والحيُّ أحوجُ إلى الجديد من الميِّت[٨].

---

(١) ينظر «تاريخ دمشق» ٥٨/ ٣٥٤ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٨٦ . قوله: نُخَلِّقُنَا، أي: نُطَيِّبُنا بالخَلُوق. وتحرَّف في «الطبقات» إلى: نُحَلِّقُنا (بالحاء المهملة).

(٣) حلية الأولياء ٢/ ١٨٤ ، وتاريخ دمشق ٥٨/ ٣٦٢ (طبعة مجمع دمشق)، والمنتظم ٧/ ١٢٣ .

(٤) تاريخ دمشق ٥٨/ ٣٦٧ـ٣٦٨ ، وبنحوه في «المنتظم» ٧/ ١٢٣ .

(٥) تاريخ دمشق ٥٨/ ٣٥٧ ، وينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ١٨٨ .

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ١٨٦ .

(٧) المصدر السابق ٧/ ١٩١ .

(٨) طبقات ابن سعد ٧/ ١٩٢ .

قال ابن سعد: مات بقُدَيْد، فدُفن بالمُشَلَّل، وبين ذلك نحوٌ من ثلاثة أميال، ووضع ابنُه السريرَ على كاهله، ومشى إلى المُشَلَّل[١].

قال الواقدي: مات سنة ثمان ومئة وهو ابنُ اثنتين وسبعين سنة.

وقال خليفة: سنة ستٍّ ومئة[٢].

وقال ابن عساكر[٣]: توفّي في أول ولاية يزيد بن عبد الملك سنة إحدى ومئة أو اثنتين.

وقال رجاء بن أبي سَلَمة: ماتَ ما بين مكة والمدينة حاجّاً أو معتمراً، فقال لابنه: سُنَّ عليَّ الترابَ سَنّاً[٤]، وسوِّ عليَّ قبري، والحَقْ بأهلك، وإيَّاك أن تقول: كان وكان[٥].

وكان للقاسم من الولد: عبد الرحمن، وأمُّ فَرْوة ـ وهي أمُّ جعفر بن محمد بن عليّ ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ وأمُّ حكيم بنت القاسم، وعبدة، وأمُّهم قريبة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه[٦].

وعبد الرحمن بن القاسم من خيار المسلمين ورواة العلم، وكان له قَدْرٌ في المشرق[٧].

وابنُه عبد الله بن عبد الرحمن وليَ القضاء بالمدينة للحسن بن زيد في أيام المأمون.

أسند القاسم عن ابن عُمر، وابن عبَّاس، وابن الزبير، وأبي هريرة، ومعاوية، وعمته عائشة، رضي اللهم عنهم أجمعين.

---

(١) المصدر السابق، وقول الواقدي الآتي بعده فيه ٧/ ١٩٣ . وترجم له ابن الجوزي في «المنتظم» ٧/ ١٢٣ فيمن توفي سنة (١٠٨) .

وقُديد: موضع قرب مكة، والمُشلَّل: جبل يُهبط منه إلى قُديد من ناحية البحر. ينظر «معجم البلدان» ٤/ ٣١٣ ، و٥/ ١٣٦ .

(٢) طبقات خليفة ص ٢٤٤ ، وقال فيه: سنة ستّ آخرها، أوّلَ سنة سبع ومئة.

(٣) في «تاريخه» ٥٨/ ٣٧٨ . (طبعة مجمع دمشق).

(٤) أي: ضَعْه وضعاً سهلاً.

(٥) حلية الأولياء ٢/ ١٨٤ ، وتاريخ دمشق ٥٨/ ٣٧٦ .

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ١٨٦ .

(٧) ينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ٤٥٢ .

وروى عنه ابنُه عبد الرحمن، وسالم بن عبد الله بن عُمر، والزُّهري، ونافع مولى ابن عُمر، والشّعبي، وأنس بن سيرين، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ومحمد بن المنكدر، وأبو بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزْم، وأسامة بن زيد الليثي وربيعة[١]، وسعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عَوْن، ومالك بن دينار، وأيوب السَّخْتِياني، وأبو الزِّناد، وشيبة بن نِصاح المقرىء، وحُميد الطويل، وخلق كثير.

وكان ثقةً رفيعاً، عالماً فقيهاً إماماً، كثيرَ الحديث ورعاً، وكان يحدِّثُ بالحديث على حروفه، رحمة الله عليه.

مُحَرَّر[٢] بن أبي هريرة

الدَّوْسي، من الطبقة الثانية من أهل المدينة، توفّي في خلافة عُمر بن عبد العزيز[٣].

وقد روى عن أبيه، وكان قليل الحديث، وروى عن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه.

وروى عنه ابنُه مسلم بن المحرَّر، وعطاء، والشعبي، وغيرُهم، ووفد على عبد الملك وابنِه سليمان[٤].

ولقيَ ابنَ عمر رضي الله عنهما، فسأله عن السَّمَك يكون بالساحل، فينضبُ عنه الماء، فيموت، فقال: هو حلال[٥].

محمد بن مروان بن الحكم

وأمُّه أمُّ ولد، يقال لها: زينب، وهو من الطبقة الثانية من أهل المدينة[٦].

---

(١) في (خ) (والكلام منها): وأسامة وربيعة بن زيد. وهو خطأ. وقد روى عنه ربيعة بن أبي عبد الرحمن، وربيعة بن عطاء مولى بني سباع. ينظر «تهذيب الكمال» ٢٣/ ٤٢٨ .

(٢) تحرف في (خ) (والكلام منها) إلى: محمد.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٥٠ .

(٤) تاريخ دمشق ٦٦/ ٢٤٦ (طبعة مجمع دمشق)، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٢٧٥ .

(٥) تاريخ دمشق ٦٦/ ٢٥٢ .

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٣٣ .

وكان شجاعاً صاحب غزو، وكان أبوه مروان قد ولاه أرمينية، وكان عبدُ الملك يحسُدُه على شجاعته، فتهيَّأ محمد للمسير إلى أرمينية مفارقاً لأخيه عبد الملك، فدخل عليه مودِّعاً وأنشده:

وإنـــك لا تَـــرى طَـــرْداً لـــحـــرٍّ كـإلـصـاقٍ بـه بـعـضَ الـهـوانِ
فـلـو كـنَّـا بـمـنـزلـةٍ جـمـيـعـاً جـريـتَ وأنـتَ مـضـطـربُ الـعِـنـانِ

فرقَّ له عبدُ الملك، وقال: يا أخي، أَقِمْ، فواللهِ لا رأيتَ منِّي ما تكره بعدَها[١].

وفي سنة ثلاث وسبعين غزا قيساريَّة من أرض الروم إلى مَرْعَش.

وغزا سنةَ ستٍّ وسبعين من ناحية مَلَطْيَة.

وغزا أيضاً سنة اثنتين وثلاث وأربع وخمس وسبع وثمانين أرمينية، وصاف بها وشَتَا[٢].

وفي سنة تسعين فتح باب الأبواب ومعظم حصونِه[٣].

وفي سنة إحدى وتسعين عزلَ الوليدُ بنُ عبد الملك محمدَ بنَ مروان عن الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، وولاَّها مَسْلَمةَ بنَ عبد الملك، فسار إلى باب الأبواب، ونصبَ عليها المجانيق فَهَدَّ حائط الباب[٤].

وفي سنة إحدى ومئة مات محمد بن مروان.

وكان له من الولد مروانُ، آخِرُ خلفاء بني أمية، وأمُّه أم ولد. ويزيدُ، وأمُّه رَمْلَة بنت يزيد بن عُبيد الله بن شيبة بن ربيعة بن عبد شمس. وعبدُ الرحمن، وأمُّه أمُّ جميل بنت عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب. ومنصور، لأمِّ ولد. وعبدُ العزيز، لأمِّ ولد. وعبدة، ورَمْلة، لأمَّهات أولاد[٥].

---

(١) تاريخ دمشق ٦٤/ ٣١٣ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) ينظر «تاريخ دمشق» ٦٤/ ٣١٠ـ٣١٢ .

(٣) المصدر السابق ٦٤/ ٣١٢ . وباب الأبواب ـ ويسمى الباب ـ مدينة على بحر طبرستان (بحر قزوين)، وفي وسطها مُرْسىً للسفن على جانبي سدَّيْن مُحكمي البناء، وجُعل مدخلُه ملتوياً، ولا تمرُّ به المراكب والسفن إلا بإذن. وهي من أهم الثغور، وهي الدَّرْبَند. ينظر «معجم البلدان» ١/ ٣٠٣ .

(٤) تاريخ دمشق ٦٤/ ٣١٣ .

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٣٣ .

وقد روى الزُّهْريّ عن محمد بن مروان، وروى عن مروان ولدُه محمد[١].

مِقْسَم صاحب ابن عباس

من الطبقة الثانية من أهل مكة[٢]، وهو مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، ويُكنى أبا القاسم.

وكان قد لزمَ ابنَ عبَّاس، وروى عنه، فبعضُ الناس يقول: هو مولى ابن عباس للزومه له، وكان كثيرَ الحديث ضعيفاً، توفي في سنة إحدى ومئة[٣].

يزيد بن الأصمّ

أبو عوف[٤] العامري، الكوفي من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الجزيرة[٥].

وهو ابنُ أخت ميمونة زوجِ رسول الله ﷺ؛ أمُّه بَرْزَة بنتُ الحارث؛ قيل: إنه رأى رسول الله ﷺ.

وسكن الرَّقَّة، ووفدَ على معاويةَ، وعبدِ الملك، وسليمان وقال: حضرتُ عند سليمان، فجاءه رجل بمال من جسر مَنْبج[٦]، وعنده عمر بن عبد العزيز فقال عمر لسليمان: إنَّ هذا رجل سوء يحمل مال السوء[٧]. فأطلقَ سليمان [سبيل الناس من][٨] الجسور والمعابر.

---

(١) انقلب الكلام في (خ) (وهو منها فقط) فجاءت العبارة فيها بلفظ: وروى عن محمد ولده مروان. وهو خطأ. وينظر «تاريخ دمشق» ٦٤/ ٣٠٨ وفيه خبرٌ يوضّح ما أثبتُّه أعلاه.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٣١ـ٣٢ ، وذكره أيضاً ٧/ ٢٩١ في الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة من موالي الأنصار.

(٣) المصدر السابق، بالموضعين المذكورين.

(٤) في (خ) (والكلام منها): بن عوف، وهو خطأ. وسترد الترجمة أيضاً آخر سنة (١٠٤).

(٥) في (خ): الكوفة، والصواب ما أثبتُّه، وقد ذكره ابن سعد في هذه الطبقة ٩/ ٤٨٤ . وكذا ذكره ابن عساكر في «تاريخه» ١٨/ ٢٤٩ (مصورة دار البشير) عن أبي علي الحافظ وغيره.

(٦) في «تاريخ دمشق» ١٨/ ٢٤٨ : فجاء رجل يقال له: أيوب وكان على جسر منبج يحمل مالاً مما يؤخذ على الجسر.

(٧) في «تاريخ دمشق»: هذا رجل مترف يحمل مال سوء.

(٨) ما بين حاصرتين من المصدر السابق.

واسم الأصمّ عَمرو بن عُدَس بن عُبادة من بني عامر بن صعصعة.

وكان يزيد ثقةً كثير الحديث، روى عن أبي هريرة، وابن عبَّاس، وخالته ميمونة، وكان ينزلُ الرَّقَّة.

وقال سليمان بن عبد الله بن الأصم: مات يزيد بن الأصمّ في سنة ثلاث ومئة في خلافة يزيد بن عبد الملك.

وقال أبو أحمد العجلي: مات بالرَّقَّة سنة إحدى ومئة[١].

وقيل: سنة ثلاث ـ أو أربع ـ ومئة.

وقيل: عاش إلى زمن هشام بن عبد الملك[٢].

وأسند عن سعد بن أبي وقَّاص، وعوف بن مالك، وعائشة، وأمِّ الدَّرداء[٣].

وحدَّث عنه عبد الله وعُبيد الله ابنا عبد الله بن الأصمّ، وميمون بن مِهْران، وغيرهم، وكان ثقةً صالحاً، رحمة الله عليه[٤].

السنة الثانية بعد المئة

فيها قُتل يزيد بنُ المهلب وإخوتُه، وعديُّ بنُ أرطاة، وعبد الملك بنُ مِسْمَع، ويزيدُ ابنُ أبي مسلم بإفريقية، وغيرهم، وسنذكرُهم في تراجمهم.

وفيها جمع يزيدُ بنُ عبد الملك لمسلمةَ بنِ عبد الملك بعد قَتْلِ يزيدَ بنِ المهلب بين ولاية الكوفة والبصرة وخُراسان، فولَّى مسلمةُ الكوفةَ محمدَ بنَ عَمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط. ويقال له: ذو الشامة. وولَّى على البصرة عبدَ الرحمن بنَ سُليم الكلبي عاملاً [و] على شرطتها عمر بن يزيد بن عمير التميمي، فأراد عبد الرحمن بن سُليم أن يستعرض أهل البصرة، فقال له عُمر بن يزيد: تريد أن تفعل ذلك ولم تُهيِّىء

(١) لم أقف عليه. ونقل المزي في «تهذيبه» ٣٢/ ٨٥ تاريخ وفاته سنة (١٠١) عن رجل من ولده.

(٢) ينظر «طبقات» ابن سعد ٩/ ٤٨٤ ، و«تاريخ دمشق» ١٨/ ٢٥٢ـ٢٥٢ .

(٣) تاريخ دمشق ١٨/ ٢٤٦ ، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٨٣ ، وقد سلف قبل ذلك أنه روى عن أبي هريرة... وكان من الأولى جمع هذا الكلام.

(٤) من قوله: ومن شعره في سُكينة (أوائل ترجمة عمر بن أبي ربيعة) ص٣٢١... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).